



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

People's Democratic Republic of Algeria

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministry of Higher Education and Scientific Research

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

University Mohamed Boudiaf of M'sila



كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: الفلسفة

رقم التسجيل: 2801202323075108968

التجديد في الفكر العربي المعاصر حسن حنفي - انموذجا -

مذكرة مكملّة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

تخصص: فلسفة عامة

إشراف الدكتور:

لصقح الربيع

إعداد الطالب:

• زروخي صالح

السنة الجامعية: 2023-2024 م / 1444-1445 هـ





شكر و عرفان

قال الله تعالى: "... لئن شكرتم لأزيدنكم" ((سورة إبراهيم)) الآية 7.

وأتوجه بالشكر الخالص لكل من ساعدني في إنجاز هذه المذكرة خاصة

الدكتور "لصقع الربيع" الذي كان له الفضل في قبوله الإشراف عليّ، وكذا على نصائحه القيمة وتوجيهاته السديدة.

كما لا أنسى بالشكر الدكتور "زروخي عبد الوهاب" الذي لم ييخل عليّ بتوجيهاته.

جازاهم الله عني كل خير.



إلى الجميع

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع إلى والدي الكريمين لهما

مني عرفانا أبدياً

إلى زوجتي وأولادي...

إلى إخوتي وأخواتي، وإلى كل الأصدقاء...



مقدمة

مقدمة:

طرحت منذ بداية القرن العشرين وإلى الآن مجموعة من الأسئلة والإشكاليات، تخص الواقع العربي بصفة عامة، والتي تقدم بها العديد من الكتاب والمفكرين العرب وغيرهم، تتعلق في مجملها بالجانب الفكري والاجتماعي، ساعية وراء الحلول والوسائل التي يتعين اتباعها للخروج من أزمة التخلف والاجترار والتبعية، واللاحق بركب الدول التي حققت إنجازات، جعلت المسافة بيننا وبينها تزداد اتساعاً وبعداً.

حتى غدا السؤال الرئيس في كل وقت وحين لا يخرج عن التشكيك في محدودية مجال العقل العربي وعقم تفكيره.

ومن البديهي أن العقل كلما كان متطوراً ومتحركاً، كلما كان منتجاً ومبدعاً للأفكار، بما يخدم الإنسانية في مختلف الأزمنة والعصور، وكلما كان جامداً بائراً، كلما كانت الأفكار المنتجة متصفة بالعقم في إحداث التجديد المطلوب الذي تقتضيه متطلبات العصر الراهن الذي يكون دافعاً قوياً، للنهوض بواقع المجتمعات العربية.

من خلال هذا كله، جاءت محاولات العديد من المفكرين العرب المعاصرين لمعالجة مشكلة تخلف الواقع العربي المعاصر، وضرورة النهوض به إلى مصاف الواقع الذي يسوده الإبداع الفكري والتطور الاجتماعي والاقتصادي، حيث قدم لنا كل مفكر مشروعه الذي يرى فيه الحل الأنجع للخروج من الأزمة، والوصول بالواقع الراهن للمجتمعات العربية إلى بر الأمان.

وعلى هذا الأساس جاءت سياسة المشاريع الفكرية العربية خاصة بعد عصر النهضة، على يد جيل من المفكرين أمثال: زي نجيب محمود، حسن حنفي، محمد عابد الجابري، ومحمد

أركون (... إلخ)، والسبب في سياسة المشاريع الفكرية هذه، هو هزيمة حزيران، يونيو 1967، التي مني بها العرب، والتي كان لها تأثير بالغ على كل المستويات، حيث كانت سبباً في تغيير العديد من القناعات الفكرية، للكثير من المفكرين العرب، وذلك لأن الهزيمة أحس بمسؤوليتها الجميع، شعباً وجيشاً وحكاماً وفكراً.

بناءً على ذلك كانت لدينا، الرغبة والدافع لاختيار مجال الفكر العربي المعاصر، كونه يمثل نقطة اهتمام بلغة بالنسبة لنا كطلبة فلسفة من جهة، ومن جهة أخرى الرغبة في محاولة البحث والتنقيب في الأعمال الفكرية لأحد أعمدة الفكر العربي في الفترة الراهنة، حيث حاولنا البحث فيها عن أهم الركائز الأساسية التي يقوم عليها مشروع التراث والتجديد عنده.

ومن هذا المنبر، نتوصل إلى طرح الإشكال الذي يدور حوله، موضوع بحثنا والمتمثل في السؤال التالي: على أي نحو يكون التجديد في الفكر العربي المعاصر عند الدكتور حسن حنفي؟ وهل يكفينا التجديد في الفكر وحده للخروج من دائرة التخلف إلى دائرة المشاركة والإبداع؟ لتندرج تحت هذا الإشكال مجموعة من المشكلات الجزئية، والتي تمحورت في ثلاث تساؤلات، كان أولها: ما هو مفهوم التجديد وما علاقته بالفكر العربي المعاصر؟ وثانياً: ما هو مفهوم التراث وكيف يتم التجديد فيه؟ وأخيراً: كيف يمكن أن تعتبر تجديد اللغة دافعاً للإبداع والتطور؟

ولحل هذه الإشكالية، اعتمدنا على المنهج الذي رأينا فيه المنهج المناسب للعمل الذي سنقدمه، وهو المنهج التحليلي والذي يتلاءم مع مقتضيات البحث حيث واجهتنا مجموعة من العوائق أثناء إنجازنا لهذا الموضوع كان أبرزها انعدام المراجع المتخصصة في الفكر العربي

المعاصر، خاصة فكر الدكتور حسن حنفي، وقد حاولنا مواجهة هذه الصعوبة بالاعتماد على المجالات والجرائد والمقالات الفكرية أكثر.

أما عن المصادر المستخدمة في هذا العمل فكان أهمها، كتاب التراث والتجديد كمصدر رئيسي في هذا البحث، والذي حصر أهم الأفكار التي تتعلق بمشروع التراث والتجديد، وكتاب حوار الأجيال، وكتاب حصار الزمن والذي تناول إشكاليات تتعلق بالحاضر والواقع العربي، وكذلك كتاب هموم الفكر والوطن، حيث دعمنا هذه التشكيلة من المصادر بمجموعة من المراجع والمجلات أهمها: كتاب إشكالية التجديد لماجد الغزبائي، وكتاب تأملات في أزمة العقل العربي، لمحمد إبراهيم الفيومي، ومجلة الكلمة، ومجلة الفكر العربي المعاصر، ومجلة الشروق الثقافي، هذا فضلاً عن الاستعانة بأهم المعاجم والموسوعات - لضبط - أهم المفاهيم والمصطلحات في هذا البحث، كموسوعة روزنوال، وموسوعة لالاند الفلسفية، ومعجم المصطلحات الفلسفية لجميل صليبا.

وقد قسمنا هذا العمل وفق خطة منهجية إلى ثلاث فصول.

حيث : كان الفصل الأول بمثابة الفصل التمهيدي بعنوان: التجديد بين المفهوم والأسباب والأهداف والذي قسمناه إلى ثلاث مباحث، حيث تناولنا في المبحث الأول: مفهوم التجديد كمصطلح عام متعدد الاستخدامات، وفي المبحث الثاني حاولنا ربط التجديد بالفكر العربي المعاصر من خلال، عرض الأسباب والأهداف التي تدفع إليه لنختم هذا الفصل بذكر نماذج لمفكرين عربيين حملوا لواء التجديد.

يليه الفصل الثاني صلب الموضوع، الذي قسم بدوره إلى ثلاث مباحث أساسية تطرقنا في الأول إلى ماهية التراث والعلاقة التي تربطه بالتجديد، أما الثاني فتحدثنا فيه عن المشروع

الفكري للدكتور حسن حنفي، وعن أهم ما تضمنه من أفكار تجديدية، وختمنا الموضوع بمبحث ثالث، خصصناه لميادين التجديد في المشروع الفكري.

وأخيراً وليس آخراً، يأتي الفصل الأخير، والذي حاولنا فيه إبراز مظهر هام من مظاهر التجديد في التراث حيث عنوانه ب: اللغة والتجديد عند حسن حنفي، وهو الآخر قسمناه إلى مبحثين: حيث تكلمنا في المبحث الأول عن مشروع التجديد اللغوي والهدف منه، وفي الختام يأتي المبحث الثاني الذي عرضنا فيه البديل اللغوي الذي قدمه حسن حنفي، كحل أو نتيجة من دراسة هذا المشروع.

الفصل الأول:

التجديد بين المفهوم الأسباب والأهداف

سنتناول في هذا الفصل قضية التجديد في الفكر، والتي شغلت العقل منذ وقت مبكر في تاريخ الفكر العربي، إلا أن الاهتمام بها ازداد أكثر فأكثر منذ عصر النهضة العربية والسبب راجع للآزمات التي تعاني منها المجتمعات العربية من تخلف فكري وتبعية للمجتمعات الغربية، ولهذا السبب طرحت مجموعة من الاشكاليات حول مفهوم التجديد، وعلى هذا الأساس قسمنا الفصل الأول إلى ثلاث مباحث أساسية حيث: حصص المبحث الأول لضبط مفهوم التجديد، أما المبحث الثاني فكان لشرح الأسباب التي تدفع بالمفكر للقيام بالتجديد، في حين قدمنا في المبحث الثالث، نموذجين من أهم المجددين في الفكر العربي المعاصر.

المبحث الأول: مفهوم التجديد لغة واصطلاحاً

1/ المطلب الأول: مفهوم التجديد لغة

جاء في لسان العرب لابن منظور عن معنى التجديد ما يلي ((الجنة نقيض البالي يقال شيء جديد والجمع أجده، وجدد، وجدد وحكى الليحاني، أصبحت الثياب خلقانا وخلقهم جددا..

وأجد الثوب واستجده، لبسه جديدا... والعرب تقول ملأه جديد بغيرها لأنها معنى مجدودة، أي مقطوعة وثوب جديد: جد حيثاً ويقول للرجل إذ لبس جديداً أبل وأجد وأحمد الكاسي، ويقال بلي بيت فلان، ثم أجد بيتاً، زادني الصحاح والجنة مصدر جديد وأجد ثوباً واستجده وثياب جدد وتجرد الشيء صار جديداً، وأجده وجدده واستجده، أي صيره جديداً¹.

ما يفهم من هذا التعريف للتجديد هو فكرتين أساسيتين، الأولى مفادها أن الجديد يحمل معنى القطيعة مع البالي، والفكرة الثانية أن الجديد مكمل للقديم ومتمم له.

2/ المطلب الثاني: مفهوم التجديد اصطلاحاً

أما مفهوم التجديد في الاصطلاح فنجد أن جميل صليبا يعرفه "جدد الشيء صيره جديداً، والتجديد إنشاء جديد أو تبديل شيء قديم، وهو مادي كتجديد الملابس، والمسكن أو معنوي كتجديد مناهج التفكير وطرق التعليم ويغلب على التجديد أن يكون مذموماً في المجتمعات الزراعية الشديدة التمسك بتقاليدها، وأن يكون محموداً في المجتمعات الصناعية التي تقدر روح الاختراع"².

¹ - ابن منظور، لسان العرب، المجلد 03، دار صادر، بيروت، ط3، 1994، ص139.

² - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1994، ص146.

إن أهم ما نستخلصه من تعريف جميل صليبا للتجديد أنه يحصره في نوعين مادي ومعنوي فالتجديد المادي يتعلق بحاجات الإنسان الفيزيولوجية والمادية، أما التجديد المعنوي فيتعلق بالجانب الفكري والروحي للإنسان هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن هناك اختلاف في وجهات النظر لمفهوم التجديد بين رافض وناقد له وبين راض ومقتنع به ومستحسن له، مع الإشارة إلى أن هذه النظرة نابعة من الظروف الاجتماعية الحضارية ومتعلقة بأسلوب التنظيم الاقتصادي والسياسي لمجتمع ما.

ويعرف الدكتور إبراهيم مذكور "كل فكرة أو أسلوب أو عما يخرج عن المؤلف، وهو بهذا ضرب من الاختراع، وكثيرا ما يجيء عفويا، أو بمعنى الصدفة، دون فكرة أو رؤية يقوم به الفرد أو المجتمع على السواء... ومن التجديد ما يتطلب بحثا ودرسا وإعدادا طويلا... وهنا يلتقي التجديد مع الاختراع تمام الالتقاء ومن التجديدات ما يعمر طويلا ومنها ما لا يقدر له البقاء، وربما تجديد سطحي إلى تجديد عميق، له شأنه والتجديد أمانة من أمارات الحياة في المجتمع وسبيل من سبل تقدمه ونهوضه"¹.

ومن هنا فإن التجديد من خلال هذا التعريف يأتي مخالفا لما هو معتاد وسائد أي هو ابتكار، وهذا الابتكار قد يحصل بعفوية وبمحض المصادفة كما أنه قد يكون نتيجة تخطيط وتدبير وقصد، والتجديد إذ كان عميقا ومتغلغلا فإن قدرته على البقاء والدوام أكبر وأوفر، أما إذا اتصف بالسطحية والبساطة، فإنه أقرب إلى الزوال والتلاشي والتجديد علامة من علامات الحضور والتواجد الحياتي، وطريق من طرق التطور والازدهار الحضاري.

وفي مفهوم أندري لالاند "... يدل التجديد على الظاهرة العقلية الكامنة في القول أو حول عنصر من عناصر حياتنا النفسية السابقة، عندما يتولد هذا العنصر ينزع إلى التوالد الكامل كل

¹ - إبراهيم مذكور، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العالمية للكتاب، د. ط، دون تاريخ، ص 116.

مجموع الحالة الواعية التي ينتمي إليها غالبا ما يدل على هذه الواقعة باسم قانون التجديد أو قانون الشمول¹.

ما نستخلصه من عبارة لالاند أن التجديد ظاهرة عقلية نفسية تنزع عناصرها إلى التوالد في عملية اصطلاح عليها لالاند قانون التجديد.

ويأتي أخيرا تعريف روزونتال للتجديد "الجديد والقديم بأنها قوتان واتجاهان متعارضان، الصراع بينهما وخاصة في المجتمع هو الدافعة للتطورات، وكل شيء يدفع ويوجه التطور في ظروف تاريخية محدد جديدة، بينما كل شيء يعوقه ويمنعه قديم، والجديد والقديم في عملية التطور في تداخل جدلي، فالجديد يخرج من القديم وهو متضمن فيه بصورة جنينية.... وظهور الجديد يكون دائما طفرة وهو نهاية كل التناقضات وبداية تناقضات جديدة"².

من الواضح في هذا التعريف للتجديد بروز الجانب الاشتراكي الماركسي فكل عبارة في هذا التعريف تحيل إلى فكرة أو مبدأ من مبادئ وأفكار وكارل وماركس فالبداية تحيل إلى جدلية الصراع بين القديم والجديد تم اجتماع القديم والجديد في وحدة متضادة وحمل القديم لبروز فنائه. في طياته والتي هي في نفس الوقت بوارد ظهور الجديد انتهاء بسلب السلب أو نفي الجديد للقديم والحلول مكانه، وما نستخلصه أن التجديد يحمل ثلاثة معاني رئيسة على التوالي "التغيير" "الابداع" "والإصلاح" لأن التجديد يأتي ليثور على وضع سائد في مجتمع ما حيث يسعى إلى تغييره وتبديله بوضع أحسن وأفضل منه، كذلك يقترن التجديد دائما بعملية الإصلاح التي تكمل معاني التغيير والابداع فتغيير الوضع الفاسد يعني اصلاح وإبداع أشياء جديدة تهدف لإصلاح الأنماط والأوضاع القديمة.

¹ - أندري لالاند، الموسوعة الفلسفية، منشورات عويدات بيروت، ط2، 2003، ص1184.

² - روزونتال، بودين وآخرين، الموسوعة الفلسفية، ترجمت سمير كرم، دار الطليعة بيروت، ط07، 1997، ص163.

3/ المطلب الثالث: ماهية تجديد الفكر العربي

في الحقيقة لا يوجد هناك معنى محدد أو متفق عليه حول تجديد الفكر العربي وكل ما بالإمكان قوله هو وجود بعض الأعمال والدراسات التي اهتمت بهذا المجال، وهكذا فإن تجديد الفكر العربي الذي يتجه إلى الإجابة عن تلك الأسئلة والتحديات الثقافية والفكرية إجابة تنطلق من واقع الخصوصية العربية، وتستهدف تحديد الرأي المطلق اتجاهها، والعمل على بعث الحياة الفكرية العربية من جديد، بعثا يعيد صياغة منظومتها المعرفية- ويزيل عن مفاهيمها تلوث التخلف والآثار السيئة لعهود، الاحتلال الثقافي والمسح الفكري فهو تجديد يحمل أمل تأسيس خريطة ثقافية جديدة اشترك فيها الجميع على قاعدة الوطن والأمة في رسمها، وتحديد أولوياتها وبيان منطلقاتها وركائزها وخطوات عملها، متوسلين في سبيل تحقيق ذلك لغة الحوار والتفاهم والانفتاح وقبول الآخر وجودا وفكرا¹.

ومما تقدم ذكره فإن تجديد الفكر العربي يتطلب جهدا فكريا كبيرا وعمل ثقافيا متواصلا، تكون الانطلاقة الأساسية فيه من الواقع الاجتماعي والحضاري للمجتمع العربي، ومعرفة خصوصياته ثم محاولة الإجابة على إشكاليات الماضي ومتطلبات الحاضر للارتقاء إلى المستقبل الحضاري الخالي من كل تبعية ومحاولة احتلال واستلاب، ويكون هذا العمل بفتح الحوار والتفاهم والانفتاح، وقبول الرأي الآخر، وهناك من يرى أن الحاجة إلى التجديد، هي الانبهار بالتطور الحضاري والتصاعد الذي ألقى ضلاله منذ عصر النهضة واتصال الشرق بالغرب، الذي أيقض وعي المجتمعات الشرقية عامة والعربية خاصة، بالفرق الحضاري بينهما، (الشرق والغرب). حيث لاحظت المجتمعات الشرقية مقدار تخلفها بالقياس إلى ما كانت عليه في العصور الوسطى، وراحت تبحث عن أسباب هذا التخلف عبر مراجعة حقيقية للواقع

¹ - محمد محفوظ، التجديد الثقافي في المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر، مجلة الكلمة ببيروت، العدد 12، صيف 1996، ص36.

ومكوناته الفكرية. ونشير إلى أن المجددين انقسموا إلى ثلاث اتجاهات، على حسب رؤاهم الفكرية "الأول كان منبهاً بالغرب إلى حد التخلي عن كل ما يمس بالأمة من صلة فدعا إلى نبد التراث وإنشاء قطيعة معرفية معه ليحل النموذج الغربي محل النموذج السائد في حضارتنا، والثاني ارتد سلفياً رافضاً لمعطيات الحضارة الحديثة، منكب على التراث لا يرى غيره ويصير على تكرار النموذج الحضاري القديم رغم تاريخه، في حين عاد الثالث إلى التراث يستخلفه ويبحث فيه عن مصدر قوته ليؤسس من عناصره القدرة على البقاء قاعدة تستوعب معطيات الحضارة الحديثة والتراث بقيمة ومبادئه"¹.

من هذا التصنيف تتحدد توجهتا المجددين، فمنهم المتغرب الراض للتقاليد والعادات الفكرية معتبراً أنها فقدت مبررات بقائها وعودتها، ومنهم الأصولي المتشبث بقيم الماضي وأفكار السلف النابذ لأي تقليد للغرب حيث يرى أنه يشكل خطراً على عقيدته وتعاليمها، ما يقال عن هذين الاتجاهين أنهما لا يشكلان حلاً لإشكالية التجديد وذلك لأن صفة الإفراط تطغى على نظرتيهما أي الرفض التام للجانب الآخر أو التعصب الكلي للجانب الآخر.

من هنا يأتي الاتجاه الثالث الذي يمثل الوسطية والاعتدال لكونه لا يجمد على التراث ولا يرفضه بل ينقضه ويعمل على إقامته وإحيائه ليجتث منه سلماً ومنهجاً إلى الرقي الحضاري كما لا يرتقي إلى أحضان الغرب ولا يرفض معطياته الحضارية بل يعمل على معرفتها ثم نقدها ثم أخذ ما يمكن أن يساعد على إعادة بعث المجتمعات العربية والتحاقها بركب الحضارة.

أما من وجهة النظر الفلسفية نجد أن تجديد الفكر العربي اتخذ شكلين: الشكل الأول شكل الحركات القومية العربية وشكل الإصلاحات الدينية وجميعها تتفق في طرح مسألة التجديد الفكري حتى وإن اختلفت في المنهج والمبدأ والهدف والغاية.

¹ - ماجد الغرباوي، الثقافة والتجديد، مجلة رسالة الإسلام، القاهرة، العدد 46، سبتمبر 1999، ص 25.

المبحث الثاني: أسس وأهداف التجديد

1/ المطلب الأول: أسس تجديد الفكر العربي

يقوم التجديد على مجموعة من الأسس والمقومات وألبنا التي تمكنه وتجعله مؤهلاً للقيام بمهمته ومن أبرزها ما يلي:

أولاً: المعرفة:

يجب على المجدد في الفكر أن يتوفر على أدوات البحث العلمي ويتسلح بآليات المعرفة ليتمكن من قراءة التراث وتفكيكه، وامتلاكه للنقد الموصل إلى تجديد فعال ومؤثر ومغير، وفي حالة غياب هذا الجانب المعرفي، يقع المجدد في مشاكل تجعله يقتحم مجالات خارجة عن اختصاصه المرتبط في الأساس بتجديد الفكر¹. كما يمكن الإشارة إلا أن عملية التجديد لا تكون محجوبة عن بعض وجوه الحقيقة والاطلاع، والتعرف على ثقافة الآخر، يسمح للمجدد بأن يضعها في محك النقد، ليتسنى له استبعاد ما يتناقض مع بيئته الاجتماعية خاصة وانتماؤه، العقدي على وجه الخصوص، ويأخذ ما يتلاءم مع هذه الأخيرة فيجعله حليفاً إليه في التجديد، وهذا كله من شأنه أن يمنع المجدد من التقوقع على الذات، والتعامل بسلبية مع خالفه في وجهات نظره.

ثانياً: الوعي:

الوعي هو نقطة الانطلاق في عملية التجديد، فالمعرفة المفتقرة للوعي، لا تعدو أن تكون سوى عملية تخزين وتراكم للمعارف والأفكار، حيث عندما تستقر في اللاوعي لا تضيء الفضاء المعرفي للإنسان ولا تكشف عن المظاهر الخاطئة والمفاهيم المزورة، حيث أن المفكر الواعي

¹ - علي حرب، بين الأختام الأصولية والشعائر التقدمية، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط1، 2001، ص103.

يتطلع دائماً إلى التجديد والإصلاح. وعليه فالتجديد دائماً يرتبط بالوعي ارتباطاً عضوياً ولولا الوعي لا يتحرك في المفكر دواعي التجديد ولا يتولد لديه هم الإصلاح¹.

إن أزمة التجديد في الفكر العربي المعاصر، هي أزمة وعي حيث أن بعض المفكرين لا يعي التجديد، ولا يقدر ضرورته، خاصة في ظل التغيرات التي يعرفها الواقع الاجتماعي العربي، الخطوة الأولى هي أن يعي المجدد أو المفكر وجود أزمة في الفكر والثقافة ويدرك حجك خطورتها، وضرورة معالجتها ثم ينطلق لوضع الحلول المناسبة لها، وهكذا فالوعي بأهمية التجديد الفكري من أبرز مسؤوليات المثقف والمجدد في الفكر العربي، لأن التجديد في جوهره هو تجسيد للوعي بضرورة تفسير الحاضر وفقاً لاختيارات فكرية تتلاءم مع الوضعية الحضارية الاجتماعية للمجتمع العربي، والمجدد الفذ هو من يحقق مقولات الوعي في الواقع الخارجي.

ثالثاً: الفاعلية

يقول عنها برهان غيلون "لا يعني التجديد بالطبع حصول تغيرات إيجابية بالضرورة على المنظومات الفكرية والاجتماعية، إنه يعني تبدل فاعليتها ونعني بالمنظومة فاعلية اجتماعية منظمة ويشمل التنظيم ثلاثة مستويات: تنظيم القيم والأفكار والمعاني، أي موضوعات التبادل والتداول بين الناس، وتنظيم السلطة المعنوية الداخلية، أو المرتبة التي تشكل أساس القواعد التي تضبط حركة تداول القيم من معاني ومفاهيم ورموز وضعت من أجلها المنظومة"².

استناداً إلى هذا القول فإن المجهود التجديدي للمفكر يجب أن يكون ذا فاعلية، وهذه الفاعلية لا يشترط فيها الإيجابية دائماً بل إيجاد التفاعل المناسب مع الظروف والمعطيات

¹ - ماجد الغرباوي، إشكالية التجديد، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2002، ص46.

² - عبد الله عبد الدايم: المسألة الثقافية، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت، العدد 15، جانفي 1985، ص73.

والفاعلية المناسبة هي التي تمتاز بالتنظيم، وهذا التنظيم يكون على ثلاث مستويات الأول يشمل تنظيم المعاني والأفكار التي تشكل صميم التبادل والتداول بين الناس، والثاني تنظيم الأسس والقواعد التي تضبط حركة التداول القيمي في السلطة التراتبية والثالث تنظيم يمس القواعد الإدارية في مختلف المؤسسات، حيث تكون هذه التنظيمات ذات فاعلية تسمح لها بتحقيق الأهداف المرجوة منها.

رابعاً: الحرية

وتعتبر من أهم الأسس في عملية التجديد وصميم كل تقدم حضاري حيث أن غياب الحرية من أبرز العوامل التي أعاققت كل محاولة لنهضة فكرية عربية فلسفية وإذا اعتبر التجديد وبالأساس حركة تغييرية إصلاحية فإن المجدد عليه أن يتحرر من كل مما من شأنه أن يعرقل مساره، والتحرر يتخذ مجموعة من الأشكال منها: التحرر من الواقع وذلك من خلال نقده والتخلص من الحواجز التي يضعها أمام حركة التجديد إلى جانب التحرر من بعض الذهنيات الضيقة الصادرة عن العصبية العرقية أو الدينية أو اللائكية¹، كما أن التحرر يكون على عدة مستويات أولها المستوى الثقافي وهذا بالتخلص من جميع الأفكار والخواطر المظلمة التي تجعل الرؤية معتمدة وغير واضحة أمام المفكر المجدد وثانيها المستوى العلمي، أي التحرر من كل تفكير أسطوري خرافي والالتزام بالقوانين والنظريات العلمية المبرهن عليها وثالثها المستوى السياسي أي رفض كل استبداد واضطهاد واحتكار خاصة حرية الرأي والتعبير، من طرف الحاكم والتخلص من هيمنة الحياة السياسية على الحياة الفكرية وأخيراً على المستوى الاجتماعي، من خلال تشجيع وتنمية قدرات الأفراد الإبداعية والوقوف في وجه كل قهر اجتماعي يمكن أن يقتل روح الإبداع لدى الأشخاص المفكرين والمجددين، وبما أن المطلوب من

¹ - ماجد الغرباوي: إشكالية التجديد، مرجع سابق، ص 56.

المفكرين على حسب رأي ماركس هو تغيير العالم وليس شرحه، فإن الحرية بهذا المعنى، هي العمل على التغيير.

المطلب الثاني: أهداف تجديد الفكر العربي

بمقدار الأهمية التي يكتسبها التجديد في أي فكر، فإن مشروع التجديد في الفكر العربي المعاصر. له عدة أهداف ومجموعة من المقاصد والغايات يرمي كل مجدد سهم فكره التجديدي نحوها، وسنتعرض في هذه الدراسة مجموعة من الأهداف والمقاصد. يقدمها لنا مجموعة من الكتاب والمفكرين العرب المعاصرين، والبداية مع محمد محفوظ الذي يجملها فيما يلي:

- 1- التأسيس لحياة ثقافية عربية جديدة، خالية من الجمود والانتكالية واليأس الفكري، أي حياة كلها نشاط ومبادرة فكرية وعلمية.
- 2- إعطاء الحلول لمشكلة التخلف الحضاري وتقديم مجموعة من الحلول لعدة قضايا فكرية مطروحة على الساحة العربية.
- 3- إثارة وتحريك طاقات الأمة الفكرية والعلمية الكامنة وتحرير المبادرات وفسح المجال للإبداع أمام المثقفون العرب. واستغلال المواهب الفكرية العربية.
- 4- التوجه نحو توفير الشروط المطلوبة لصناعة التفاعل الخلاق بين القيم السائدة في المجتمع العربي¹.

أما: علي حرب فيرى أن أهداف التجديد تتمحور حول ما يلي:

- 1- الانتقال من الجمود إلى الحركة ومن الانفتاح والانكماش إلى التواصل، وإلى الانشغال بالحاضر والتفكير في المستقبل.

¹ - محمد محفوظ، التجديد الثقافي في المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر، مرجع سابق، ص 39.

2- الاستفادة الإيجابية من تجارب الآخر. ونقل الخبرات العلمية إلى الوطن العربي لإثراء الفكر وتنمية الثقافة العربية¹.

أما زكي ميلاد فهو يجمع مقاصد التجديد حول ما يلي:

1- إزالة تلوث التخلف والآثار السيئة لعهود الاستلاب الثقافي والمسح الفكري الذي شكل أهم عقبة فعلية أمام عملية النهوض الحضاري، والاتجاه نحو الاستقلال الفكري.

2- العمل على بلورة المشروع النهضوي والبعث الحضاري وذلك من خلال² رفع عجلة التطور وتحديد معالم هذا المفهوم (النهضوي) ورسم خطة محكمة ليسيير وفقها هذا العمل.

3- تأصيل ثوابت الأمة وذلك بالعناية الجادة بالثقافة العربية الإسلامية من أجل تقادي الوقوع في مأزق غياب المرجعية التي نحتكم إليها، وبغيابها يكون الفكر والثقافية غير مبنيان على أسس قوية تضمن لهما البقاء والاستمرار ومواجهة الفكر والثقافة الوافدة من الغرب³.

تعتبر هذه الأهداف المذكورة بمثابة الأهداف الأساسية والخطوط العريضة التي تبني عليها فكرة التجديد، والمنطق عليها تقريبا بين غالبية الكتاب والمفكرون العرب المعاصرون، كما أن هناك مجموعة من الأهداف الأخرى والكثيرة في نفس الوقت التي يطرحها مجموعة من المفكرين، ونظرا لاتساع هذه الدراسة وإشباع الآراء حولها اكتفينا بهذا القدر من الأهداف والغايات من فكرة تجديد الفكر العربي المعاصر.

¹ - علي حرب، بين الأختام الأصولية والشعائر التقدمية، مرجع سابق، ص 115.

² - زكي ميلاد، الفكر العربي الجديد، ملامح وقضايا، مجلة الكلمة ببيروت، العدد 22، 1999، ص 26.

³ - المرجع نفسه، ص 27.

المبحث الثالث: أمثلة عن بعض المفكرين العرب المجددين

المطلب الأول: زكي نجيب محمود: وإحياء التراث والثقافة:

يُميز الدكتور علي نجيب محمود¹ بين العصر الذي نعيش فيه كعرب معاصرين وبين العصور السابقة، وتعتبر أن هذا العصر يتميز بثقافة جديدة يمثل فيها الإنسان دور الفاعل الأول والأخير في العالم الموجود فيه، وهذا العالم هو عبارة عن أرضية للعمل والتجربة وليس مجالاً للتأمل النظري الذي لا صلة له بهذا العالم، وانطلاقاً من هذه الرؤية اعتقد الدكتور زكي نجيب محمود أنه قد وجد ضالته نحو ذلك التجديد والإبداع العربيين في المذهب الوضعي المنطقي الذي ظهر في فينافي أواخر العشرينات من القرن الماضي، ومن ثم كرس كل مجهوده على نشر هذا المذهب في الوطن العربي منذ نهاية دراسته الجامعية حتى أواخر الستينات من القرن العشرين، وذلك من خلال ترجمته للعديد من المؤلفات الفلسفية الغربية ذات الصلة المباشرة أو غير المباشرة بهذا المذهب، ثم من خلال ما ألف من كتب تدافع على هذا المذهب أهمها (خرافة الميتافيزيقا 1951)، (والمنطق الوضعي 1961)، (ونحو فلسفة علمية 1962)².

إذن رؤية الدكتور زكي نجيب محمود في قضية تجديد الفكر العربي، تستند إلى مرجعية غربية تتمثل في الوضعية المنطقية، لكن هذه الرؤية تبدلت والشروع التجديدي وفقاً لهذه المرجعية بدأ بالاندثار والتبخر خاصة بعد هزيمة 1976. التي أدت به إلى مراجعة العديد من القناعات الفكرية. لقد أخذته في أعوامه الأخيرة صحوة قلق، لقد فوجئ بأن مشكلة المشكلات في حياتنا الثقافية الراهنة ليست هي كم أخذنا من ثقافات الغرب وكم ينبغي لنا أن نزيد إذ لو كان الأمر كذلك لكان فما علينا إلا أن تضاعف من سرعة المطابع ونزيد من عدد المترجمين لكن لا

¹ - الدكتور زكي نجيب محمود (1905م-1993م)، فيلسوف مصري تخصص في الفلسفة والمنطق عموماً.

² - أحمد ماضي، العقل والعقلانية عند زكي نجيب محمود، دار الفكر العربي، القاهرة 1987، ص 206.

ليست هذه هي المشكلة وإنما المشكلة على الحقيقة كيف نوائم بين ذلك الفكر الوافد وبين تراثنا الذي بغيره نقلت من عروبتنا أو نقلت منها؟¹

ومن خلال هذه الإشكالية التي توصل إلى طرحها الدكتور زكي نجيب محمود تأكد أن التجديد في الفكر العربي لا يمكن البحث عنه في تلك الفلسفة الوضعية المنطقية فقط بل هناك طريق آخر إلى جانبها نابع من الفكر العربي ذاته وليس ذلك الطريق الذي يعترف الدكتور زكي نجيب محمود بأنه غاب عنه منذ سنين سوى طريق التراث العربي الإسلامي، من هذا المنطلق دعا الدكتور زكي نجيب محمود إلى ضرورة القيام بثورة فكرية في العديد من مؤلفاته منها: مجتمع جديد أو الكارثة وهذا العصر وثقافته 1982 وفي حياتنا العقلية 1979. كما أوضح إلى ضرورة أن تتجاوز عن أزمة العقل في حياتنا حتى يمكننا اللحاق بركب التقدم لنشارك في حضارة العصر على أساسين أولهما: حينما تدرك بوضوح الهوية التي تفصل بين رؤيتنا للعالم ورؤية العصر له. وثانيهما فيما نجدد لأنفسنا طريقا واضحا للتجديد المأمول في فكرنا طريق يحدده التساؤل حول كيفية السبيل إلى المشاركة في ثقافة نعيشها اليوم. وهذا الطريق لابد أن تجتمع فيه عناصر من ثقافتنا الموروثة التي لا نستطيع أن نطرحها جانبا لأنها كامنة فينا ولا نستطيع العيش بدونها مع ثقافة هذا العصر الذي نعيشه، شريطة ألا يكون هذا الإجماع بين الثقافتين تجاوزا بين متنافرين بل يكون تظافرا تنسج فيه خيوط الموروث مع خيوط العصر نتيجة اللحمة والسدى².

ومن هنا يتبين لنا أن د. ز نجيب محمود يدعو إلى تكامل التراث والمعاصرة والخصوصية والعالمية وتجسيدها لمشروعه هذا الفكري والثقافي العربي الجديد قدم لنا زكي نجيب

¹ - محمد إبراهيم الفيومي، تأملات في أزمة العقل العربي، دار الفكر العربي القاهرة، ط2، 1991، ص179.

² - مصطفى النشار، رواد التجديد في الفلسفة المصرية المعاصرة في القرن العشرين، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007، ص149.

محمود مجموعة من الأعمال الفكرية والثقافية الرامية إلى التجديد منها: "ثقافتنا في مواجهة العصر" 1979 و "في حياتنا العقلية" 1979 و "التجديد الفكري العربي" 1980 و "المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري" ط 1 1981¹.

نجد في المشروع الفكري الثقافي التجديدي لزكي نجيب محمود بأننا قادرون إذا أردنا وامتلكنا إرادة التقدم ومنهجه، ومن خلال استجلاء القيم الإيجابية في تراثنا، القيم الداعية للعقل والعلم والعمل وبوازع من الإيمان الديني قادرون على أن نملك مقومات المشاركة في ثقافة العصر. وفي حضارة العصر بأوسع صورة ممكنة وذلك بتقديم تلك النظرة الثنائية -التي تميز ثقافتنا- سواء من ناحية النظر في الكون أو في الإنسان أو في المعرفة الإنسانية يقول د. زكي نجيب محمود "تلك النظرة التي يمكن أن تسد من خلالها فجوات كثيرة مما يعيب المذاهب الفلسفية السائدة في غير بلادنا فهي تضمن لنا الجمع بين العلم وكرامة الإنسان، بعد أن رأينا الجمع بينهما متعذر في أوروبا وأمريكا"².

وأخيرا يضع الدكتور زكي نجيب محمود عددا من الضوابط يرى بأنها يجب أن تحكم عملية التجديد منها:

1- ضرورة تسليم العقل العربي أن الحقيقة لم تعد منذ عصر النهضة الأوروبية وثورات كل من نيوتن وأينشتاين... وغيرهم مجرد تأمل نظري متعمق على نفسه بل أصبحت وليدة تفاعل العقل مع الواقع.

2- ثانيا هو أن الحقيقة وبارتباطها بالكون وبالطبيعة لم تعد بذلك الثبات الذي توهمه لها فلاسفة اليونان والإسلام في العصر الوسيط بل أصبحت متغيرة وبالتالي هي نسبية.

¹ - أحمد ماضي، العقل والعقلانية عند زكي نجيب محمود، مرجع سابق، ص 207.

² - زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، مكتبة دار الشرق، القاهرة، ط 8، 1987، ص 283.

3- ثالثاً: وهي أن المنهج التجريبي الذي يشكل الآن الأداة الوحيدة لتعامل العقل مع الواقع وهو المنهج الذي يعد الإسلام أول من دعا إليه. يجب أن يكون بالنسبة إلينا كذلك، إذ أردنا الارتباط بالعصر ومسايرته¹.

المطلب الثاني: طه عبد الرحمان: ومحاربة التبعية والتقليد:

يعتبر طه عبد الرحمان من المفكرين العرب القائل الذي واجهوا فترة عصبية وحرجة في تاريخ الفكر العربي. حيث حاول بمجهوداته الفكرية أن يصحح المسار الفكري العربي وأن يجدد ويجهتد ويقدم البديل بتأصيل المفاهيم ومنع المصطلحات ومواجهة فلاسفة الشرق والغرب ومحاربة التبعية والتقليد لمتفلسفة العرب لنظرائهم الغرب.

حيث تلمس وجود مجوعة من وجهات النظر التجديدية في مشروع طه عبد الرحمان الفكري نذكر من بينها.

أ- دعوته إلى الاستقلال عن المناهج السائدة، والاستبيان بما يضاهاها من حيث الفاعلية والإجرائية، وهو في هذا الصدد يتهم المتفلسفة العرب بتمام أنماط المنهجية ويبعدهم عن الاختلاف والتميز، والوقوف في وجه الفلسفة العالمية المفروضة، ومناهضة ذلك التسلط لتلك الفلسفة التي يضعها غيرهم، بمفاهيم يصوغونها عندهم².

ب- وضعه لفلسفة الحوار وجعلها الأصل في كل مناقشة وتبادل الآراء والسبيل في الإقناع والاجتهاد وذلك من خلال الاختلاف الذي حدد ضوابطه وخصائصه في كتابه الحق العربي في الاختلاف الفلسفي³.

¹- محمد علي أبو ريان، الفلسفة وحياتها، دار المعارف الاسكندرية، 1967، ص170.

²- طه عبد الرحمان، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2002، ص148.

³- حسن الإيزاغي، نظرة في المشروع الفكري للدكتور طه عبد الرحمان، دراسات عربية، دار الطليعة، بيروت، العدد 3، 1984، ص68.

ت- إنشاءه لنظرية في دراسة التراث والتي قدمها في كتابه "تجديد المنهج في تقويم التراث" خالف بها الرائج من الأعمال المهمة بتقويم التراث -وجابه بها الانقلاب الحاصل في القيم بين المنشغلين بالتراث العربي الإسلامي. ويقول في هذا الصدد: "...تقويم التراث منحى غير مسبوق ومألوف، وأنه وسع مناهج النظر في التراث، وفتح آفاق غير مرتادة في ذلك"¹.

كما انتقد الدكتور طه عبد الرحمان مقومات حضارة الغرب، وحاول مواجهة عولمتها وذلك بالكشف على الأسس التي تقوم عليها والمقومات التي تبني فوقها حيث حاول توجيه نظرة العالم إلى حادثة الإسلام والإقلاع عن أوهام حادثة الغرب. ومحاولة كشفه كذلك عن آفاق العولمة التي انتهى إليها الغرب، حيث يرى الدكتور طه عبد الرحمان أنه لا عاصم من طوفان العولمة إلا سفينة الوحي الإلهي واتضح لدى هذا المفكر أنه لا حادثة بغير اعتناق الإسلام الذي هو الدين الوحيد القادر على قهر العولمة².

وتجلى قيمة التجديد في فكر طه عبد الرحمان من خلال قيامه على الاجتهاد، حيث يقول الدكتور طه عبد الرحمان في هذا الصدد "لا طريق إلى الاجتهاد ولا تحصيل لهذه القدرة بغير التمكن في العلم الحديث إلى غاية مضاهاة صانعيه من أهل الغرب، والعقل الذي لا يجهد نفسه لا يمكنه الاجتهاد في شيء". كما يقول التجديد لديه كذلك على الإبداع والحادثة ولقد أكد في معظم كتاباته ومؤلفاته أن الحادثة هي أن يأتي المفكر بما يناظر ما عند غيره إنتاجا وإبداعا وكل من يدعي الحادثة وليس في فكره جديد ولا في سلوكه فعل يكون على وفق هذا الجديد الخاص به فهو ليس بصاحب حادثة بل هو في الحقيقة صاحب تقليد³.

¹- طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقديم التراث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994، ص12.

²- طه عبد الرحمان، روح الحادثة المدخل إلى تأسيس الحادثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2006، ص86.

³- حسن الإبراهيمي، نظرة في المشروع الفكري للدكتور طه عبد الرحمان، مرجع سابق، ص35.

الفصل الثاني:

التراث ومشروع التجديد في فكر حسن
حنفي

سننتاول في هذا الفصل إشكالية التراث، والتي أولى لها العديد من المفكرين العرب المعاصرين اهتماما بالغاً، ومن بينهم المفكر العربي حسن حنفي والذي جعلها من أولويات دراساته وبحوثه، حيث طرح العديد من القضايا والتساؤلات حول هذا الموضوع وعليه قسم هذا الفصل الذي هو صلب الموضوع إلى ثلاث مباحث، حيث خصص المبحث الأول للحديث عن التراث بين المفهوم والأهمية ثم العلاقة التي تربطه بالتجديد، في حين خصص المبحث الثاني لعرض المشروع الفكري لحسن حنفي والذي سمي بمشروع التراث والتجديد، أما المبحث الأخير فقد تحدثنا فيه عن أهم الميادين التي يتم التجديد فيها في إطار هذا المشروع.

المبحث الأول: مفهوم التراث والعلاقة التي تربطه بالتجديد

التراث مصطلح يكثر الحديث عنه في مجتمعنا العربي المعاصر وذلك لأنه يشكل عنصرا مهما، وحساسا في مجتمعاتنا، واتي يعرف عنها بأنها مجتمعات تراثية بامتياز وعلى على هذا الأساس ماذا نقصد بالتراث؟

المطلب الأول: مفهوم التراث

يعرفه مراد وهبة في معجم المصطلحات الفلسفية "التراث" tradition "معناه فعل النقل، ويراد به دينيا إتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل من غير نظر إلى الدليل كأن هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه"¹. وكذلك "هو ما يتناقل بالقول أو بالكتابة أو بالعمل في جماعة ولهذا يترادف التقليد مع النقل ويتعارض مع التأويل ولهذا فالتقليد أخذ مباشر أو نقل عن السنة"². ومن خلال هذا التعريف نخلص إلى أن التراث مصطلح يترادف مع مجموعة من المصطلحات الأخرى، تدل في مجملها على النقل، والإتباع، وكذلك التقليد، هذا النقل والإتباع يأخذ أشكالا مختلفة منها النقل بالقول وبالكتابة وقد يكون نقلا بالعمل.

أما لالاند فيعرفه في موسوعته الفلسفية على أنه "تناقل لكن الكلمة تقال في الأغلب على ما هو متناقل أي على ما يجري نقله في مجتمع (صغير أو كبير) وخصوصا في دين نقلا حيا سواء بالكلام أو بالكتابة"³ وهو كذلك في النقد التاريخي "يطلق بنحو خاص هذا الاسم على وثيقة يجري تناقلها فقط مشافهة من جيل إلى جيل أو مكتوبة فقط بعدما جرى نقلها على هذا النحو في خلال أمد من الزمن"⁴. من خلال هذا التعريف نلاحظ بأن لالاند يتفق في تعريفه

¹ - مراد وهبة، معجم المصطلحات الفلسفية، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، د، ط، 2007، ص179.

² - المرجع نفسه، ص179.

³ - اندريه لالاند: الموسوعة الفلسفية، المجلد الثالث، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2003، ص1469.

⁴ - المرجع نفسه، ص1469.

حول فكرة التناقل مع التعريف الأول، لكنه يضيف فكرة التناقل بالمشافهة في مجال النقد التاريخي الذي يعتبر مكونا من مكونات التراث الأساسية والتي لا يجب الاستغناء عنها في أي مجتمع كان.

أما الدكتور حسن حنفي فيحدد في كتابه "التراث والتجديد" مفهوما للتراث فيقول "التراث ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة فهو في هذه الحالة قضية موروث وفي نفس القضية معطى حاضر على العديد من المستويات يحاول التأسيس لقضايا التغيير الاجتماعي والتراث هو المخزون النفسي عند الجماهير وهو تركز للماضي في الحاضر ليتحول إلى سلطة في مقابل سلطة العقل أو الطبيعة التي تمد الإنسان بتصوراته للعالم وبقيمة في السلوك"¹. ومن خلال هذا التعريف للتراث من قبل الدكتور حسن حنفي نستنتج أن التراث هو كل ذلك الزخم الفكري والمعرفي الكبير الذي أنتجه الأسلاف وهو بالنسبة للخلف الموروث الذي يمثل مركز العودة ومركز الانطلاقة في التأسيسي لقضايا التغيير والتجديد في المجتمعات العربية هذه السلطة تكون في مقابل سلطة العقل وسلطة الطبيعة الموجهتان لتصورات الإنسان حول هذا العالم، كما يمثل التراث قيمة في حد ذاته بالنسبة لهذه المجتمعات حيث نجد الدكتور حسن حنفي يقول: "التراث كقيمة في المجتمعات النامية وهي المجتمعات التراثية التي مازالت ترى في ماضيها العريق أحد مقومات وجودها وفي جذورها التاريخية شرط نموها وازدهارها"².

المطلب الثاني: مفهوم التجديد في التراث

يعتقد حسن حنفي بأن التجديد يمثل ظاهرة مهمة جدا وضرورية لكل فكر يسعى إلى التحول أو عمل يسعى إلى التطور وذلك كله يتم انطلاقا من عملية تغييره في ظروف وعناصر

¹ - حسن حنفي، التراث والتجديد موقفنا في التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، د. ط، 1992، ص162.

² - المصدر نفسه، ص162.

العمل المراد تجديده. وعلى هذا الأساس وفي محاولة منه لإعطاء مفهوم دقيق للتجديد يرى بأنه ومن الضروري أن التجديد في معناه العام لابد أن يرتبط بمجموعة من المفاهيم الأخرى التي تتطلب ويتطلبها ولا يقوم إلا بدونها، حيث تمثل هذه المفاهيم في بعض الأحيان شرطاً سابقاً عليه وفي بعض الأحيان الأخرى عنصراً ملازماً له. "من بين هذه المفاهيم الأساسية مفهوم التغيير والذي يعني انتقال الشيء من حال إلى حال أخرى مغايرة، أما المفهوم الآخر فهو "التحول"، والذي يعني تغيير يصيب الشيء أو الشخص في ماهيته أو في صفاته العرضية، وهو عند الفلاسفة تقدم بالطبع وتقد في الزمان وفي الرتبة أما المفهوم الآخر فهو "التطور" والذي يقصد به تحول الشيء أو الموضوع من طور إلى طور وهو عند الفلاسفة متعدد فهو النمو، وهو الانتقال من البسيط إلى المركب أو الارتقاء من الأدنى إلى الأعلى. أما المفهوم الأخير فهو "الإبداع": والذي يعني حسب الدكتور حسن حنفي إنشاء الجديد من القديم وهو كشف واختراع"¹.

إن ارتباط مفهوم التجديد بهذه المفاهيم الأربعة تتضح من خلاله علاقة التلازم والتكامل التي يراها الدكتور حسن حنفي أساسية في تحديد مفهوم دقيق للتجديد، ومن خلال هذا نخلص إلى أن التجديد هو أولاً وقبل كل شيء فاعلية إنسانية قد تأخذ العديد من الأوجه وترادف العديد من الفاعليات الأخرى وقد تلازمها أحياناً كالفاعليات التي ذكرها الدكتور حسن حنفي سابقاً.

المطلب الثالث: أهمية التجديد في التراث

من خلال عرضنا فكرة التجديد ومفهومها لاحظنا أنها ترتبط بمجموعة من المفاهيم الأخرى والتي تصطلح عليها وإن صح التعبير مفاهيم تجديدية، وهنا يصبح التجديد ضرورة لا استغناء عنها في حياة المجتمعات العربية الإسلامية الذي سيطرت عليه ظاهرة التكون والتراجع،

¹ - بوبكر جيلالي، إشكالية تجديد علم أصول الفقه، دكتوراه جامعة وهران، 2007، ص 189.

لا التطور والتقدم، خاصة إذا عرفنا أن هذه المجتمعات تملك من الإمكانيات ما يمنحها الأهلية الحضارية والريادية ماديا ومعنويا، فلها كما يقول حسن حنفي من الماضي والتاريخ صفحات مشرقة وبيضاء وهو تراثنا العريق ولها من الثورات المادية الكثير لكن واقعها فاسد ماديا ومعنويا، لا هي استطاعت أن تحافظ على تراثها وقيمها وما فيها بالرغم من دعوات الأصالة والمحافظة، ولا هي استطاعت أن تعيش عصرها وتعيش ما فيه من تقدم علمي وتكنولوجي، وفكري بالرغم من دعوات الحداثة والتغريب، وعجزت كذلك عن التوفيق بين الاثنين¹.

كما يرى حسن حنفي أن التجديد وفي ارتباطه بالتراث، لا بد له وأن لا يتعامل مع التراث وأنه غاية في ذاته، مجرد متحف للأفكار نتغنى ونفتخر بها، بل لا بد من أن نتخذ التراث مادة حية تمدنا بالنظريات العلمية في تغيير الواقع والسعي إلى تطويره، كما لا بد لنا من أن نتخذة كنظرية في العمل وكمحدد وموجه لسلوك الإنسان. كما يعتقد حسن حنفي أن التخلف بمختلف مظاهره وفي جميع قطاعات الحياة يعود إلى غياب مشروع حضاري قومي محكم وإلى غياب ثورة إنسانية في الوعي وفي الفكر وفي الثقافة تكون سابقة على ثورة في الزراعة أو الصناعة أو غير ذلك وهذا ما عبر عنه حسن حنفي بقوله "النهضة سابقة على التنمية وشرط لها بالإصلاح سابق على النهضة وشرط لها والقفز إلى التنمية هو تحقيق لمظاهر التقدم"².

بعد ما سبق ذكره ومن خلال ما ذكرناه في هذا المبحث حول مفهوم التراث وعلاقته بالتجديد تخلص إلى مجموعة من النتائج نسجلها في النقاط الآتية:

¹ - بوبكر جيلالي، المرجع السابق، ص 190.

² - المرجع نفسه، ص 190.

- أولها هو أنه لا توجد أمة ما تعيش بدون تاريخ حضاري أو بدون تراث حضاري فلكل أمة تراث يتجسد في أبسط مظاهر حياتها، فاللغة مثلا تراث والوطن تراث والعادات والقيم كذلك تراث.
- أن التراث لابد أن تلازمه ظاهرة التجديد في كل مجتمع وأمة خاصة مع مرور الزمن وتقدم مجتمعات على حساب مجتمعات أخرى وتراجع وتكور مجتمعات تملك من الزخم الفكري والمعرفي والتراث ما يمكنها من احتلال الريادة والتقدم.
- أن المجتمع العربي المعاصر يعاني من طرح مشكلة التراث، والسبب هو الانبهار بالمعاصرة التي ولدت أزمة حقيقية بين هذه المجتمعات وتراثها.
- كذلك المجتمعات العربية تراثية بامتياز تملك من الإمكانيات ما يؤهلها لدراسة واقعها وإصلاحه ومن ثم تكون قد خطت خطوة أولى نحو التقدم.

المبحث الثاني: المشروع الفكري التجديد لحسن حنفي

لقد عرفت الساحة العربية المعاصرة، مجموعة من المشاريع الفكرية تأرجحت تارة بين مشاريع تجديدية كتجديد الفكر العربي المعاصر، عند زكي نجيب محمود، أو مشاريع فكرية نقدية خاصة في المغرب العربي كمشروع نقد العقل العربي عند الجابري أو مشروع نقد العقل الإسلامي عند محمد أركون، أما حسن حنفي فقد حاول تأسيس مشروع فكري حضاري عالج من خلاله قضية التراث والتجديد، حيث أن هذه القضية شكلت مشكلة حقيقية وارتبطت بها سائر مشكلات العصر والواقع في العالم العربي المعاصر، حيث بدأت هذه المشكلة تلوح في الأفق منذ بداية النهضة العربية الإسلامية الحديثة وتعرض العديد من البلدان العربية للاستعمار، وازدادت تفاقمًا منذ اتصال الأمة العربية بحضارة الغرب، والانبهار بالحدثة الغربية وما وصلت إليه، وعلى هذا الأساس جاء المشروع الفكري لحسن حنفي من أجل إعطاء نظرة جديدة، لعل وعسى أن تحمل هذه النظرة الحل المستعصي لهذه المشكلة، فما فحوى هذا المشروع التجديدي؟

المطلب الأول: الاختلاف الفكري حول مشكلة التراث

لقد أثارت مشكلة التراث والتجديد مجموعة من التساؤلات الفكرية الهامة، هذه التساؤلات جعلت الآراء والاتجاهات تختلف بين الدعاة إلى القديم والدعاة إلى الجديد والدعاة إلى الجمع بينهما، فما هي معالم وأفكار كل اتجاه من هذه الاتجاهات؟

يرى الدكتور حسن حنفي بأن الوضع الحالي لمشكلة التراث والتجديد تتنازع ثلاثة اتجاهات أساسية:

الاتجاه الأول: اكتفى بالحل الذاتي الأصيل، ودعا إلى ضرورة التمسك بالتراث، حيث يعتبر أصحاب هذا الاتجاه أن التراث شيء مقدس، وهو مصدر فخر واعتزاز في الحاضر، والتراث¹ عندهم قيم وأبنية فكرية وأخلاقية صالحة لكل زمان وكل مكان، وتدهور الواقع الحالي للأمة العربية يعود لكونها رمت بالتراث وراء ظهرها واتبعت ثقافة غربية من الأنا فكان الفساد وكان التخلف والضياع.

نفهم من طرح أصحاب هذا الاتجاه أن مشكلة الواقع العربي المعاصر هي في جوهرها مشكلة ترك ولا مبالاة وأن المجتمعات العربية المعاصرة قد جنت على نفسها حيث تركت ماضيها وتخلت عنه بكل ما فيه من قيم وتنوع ثقافي مقابل إتباع الغرب الذي أبهر البشرية بجدائته ومناهجه المختلفة والمتقدمة، إذن يمكننا تسمية أصحاب هذا الاتجاه بالدعاة إلى الأصالة والمحافظة. لكن الدكتور حسن حنفي يأخذ على أصحاب هذا الاتجاه بأنهم بالغوا في الاعتزاز بالموروث القديم وبالغو كذلك في تقديسه وتبجيله حيث يقول "هذا الاعتزاز بالقديم على حساب الواقع والحاضر وسنة التغيير في حياة الإنسان في هذا العالم، هو شكل من أشكال التعويض عن قصور الجيل وضعف النشء في حل مشكلة التراث والتجديد"².

أما الاتجاه الثاني: فهم الذين أرادوا حل هذه المشكلة على حساب التراث القديم فالتراث عندهم ليس قيمة في ذاته بل يعتبرونه خال كليا من عوامل التقدم ودوافع التحضر ومجرد الاتصال به مدعاة إلى التخلف والتراجع وهروب من المسؤولية أما التقدم وشق التغيير داخل المجتمع والبناء لا يكون إلا من خلال الجديد في الثقافة والعلوم، لأن هذا الجديد في نظرهم علمي عالمي "يمكن

¹ - حسن حنفي، التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم، ص212.

² - المصدر نفسه، ص212.

أن نصلح على هؤلاء أصحاب الدعوة إلى المعاصرة والتي تعني، استنساخ النموذج الغربي وتقليد العقل الغربي وفي سبيل تقليد الغرب علينا أن نطرح جانبا التراث القومي¹.

نفهم من دعاة هذا الطرح، أن التراث القومي القديم غير مجد وغير نافع ولا يساهم أبدا في عملية تغيير الواقع العربي والأصح هو طرحه جانبا، والانفتاح على الغرب وعلى مناهجه العلمية المتقدمة فهي بمثابة النموذج العالمي المثالي لكل عملية "تقديمية: تسعى إلى التغيير والبناء.

أما الدكتور حسن حنفي فيأخذ على أصحاب هذا الطرح بأن لهم رغبة كبيرة في التغيير والتجديد ولكنهم تسرعوا في عملية إعادة البناء، فوق القديم الذي مازال قائما بعد، فهم أرادوا أن يبنوا دون أن يكملوا الهدم، وعملية البناء حسب الدكتور حسن حنفي لا تتم إلا بعد الانتهاء من هدم القديم، كما أن حياة الشعوب لا تتغير في لحظة "وربما يستغرق التغيير أجيالا وأجيالا لو أردنا للتغيير أن يكون جذريا من الأساس وليس تغييرا سطحيا متسرعا"².

أما الاتجاه الثالث فهو الاتجاه الذي وقف موضع وسط بين الاتجاهين السابقين وهم ما يعرفون بدعاة التوفيق بين التراث وبين التجديد والمعاصرة، "أو دعاة الانتقاء والاختيار، والقول بالانتقاء والاختيار يعني بشكل جوهري الأخذ والترك، أي أخذ من التراث وأترك، فما أتركه يلزمني الحكم عليه بعدم جدواه، وما أخذه منه يجب أن يتقوّل داخله"³. هذا يعني أن أصحاب هذا الاتجاه يدعون إلى الاختيار من كلا الجانبين فالاختيار من القديم لابد وأن يكون مما يتوافق مع العصر، والاختيار من الجديد (الوافد) لابد أن يرجع ويقاس بمقاييس القديم، ويرى حسن حنفي أن موقف هؤلاء موقف شرعي من الناحية النظرية يود أن يستوعب مزايا كلا

¹ - محمد إبراهيم الفيومي، تأملات في أزمة العقل العربي، مرجع سابق، ص 63.

² - حسن حنفي، التراث والتجديد، المصدر السابق، ص 215.

³ - محمد إبراهيم الفيومي، المرجع السابق، ص 64.

الموقفين السابقين وأن يتجاوز عيوبها. لكن ومن خلال هذا الموقف ربما سنجد أنفسنا أمام مشكلة البحث مع معيار الانتقاء، "فيدور القول على معنى على أي معيار أخذنا هذا من التراث وتركنا ذلك؟ وتقع مرة ثانية في دائرة اختلاف مليء بالتعصب حول المعيار الفاصل بين الصالح من التراث والمعاصرة"¹.

إن عرضنا لهذه الاتجاهات وآراءها الفكرية في محاولة توضيح للصورة الفكرية التي يحملها مشروع التراث والتجديد عند حسن حنفي، لأن الرؤية الفكرية لمشروع حسن حنفي لا بد وأن تكون لها مكانة بين هذه الآراء إما بالموافقة وإما بالتقارب في وجهات النظر وإما بالابتعاد والاختلاف وهذا ما سنحاول معرفته في المطلب الثاني.

المطلب الثاني: مشروع التجديد الحضاري

ذكرنا سابقاً أن مشكلة التراث والتجديد تقاسمتها ثلاثة اتجاهات اختلفت في المبدأ لكن هدفها كان واحداً وهو النهوض بالواقع العربي المعاصر، وبوجود الحلول الثلاثة لهذه المشكلة قام المشروع الحضاري عند حسن حنفي وهو مشروع التراث والتجديد والذي جاء لتصحيح الأخطاء التي وقع فيها الفكر العربي المعاصر، فما هي الرؤية التي يتبناها هذا المشروع؟

يرى الدكتور حسن حنفي أن عملية التجديد في التراث عملية حضارية تمثل نوعاً من الاستكشاف والغور في أعماق التاريخ، وهذه العملة مطلب ملح جداً في واقعنا العربي المعاصر، حيث يعبر عن ذلك بقوله "التراث والتجديد يمثلان عملية حضارية، هي استكشاف التاريخ وهو حاجة ملحة ومطلب ثوري في وجداننا المعاصر"²، وحتى يتم اكتشاف هذا الواقع الجديد والذي يكون فيه الحاضر ضمن الماضي، لا بد لنا حسب تعبير حسن حنفي من مشروع جديد يحاول

¹ - محمد إبراهيم الفيومي، المرجع السابق، ص 64.

² - حسن حنفي، المشاريع العربية المعاصرة، مجلة الشروق الثقافي، العدد 11، 1998، ص 06.

إعادة صياغة الفكر العربي المعاصر، في تياراته الثلاث، حيث يقول "فيرد إلى التيار الليبرالي والقومي حيويته الأولى عند الطهطاوي، وإلى التيار العلماني تأصله في العلوم الطبيعية التي هي جزء من التراث القديم طبقا لاحتياجات العصر"¹. إن مشروع التراث والتجديد عند حسن حنفي لا يدعو إلى العودة إلى الماضي وإغفال الحاضر، بل لابد أن يأخذ التجديد شكل التحليل أو إن صح التعبير منهج التحليل وهذا التحليل لا يكون إلا على مستويين حيث يقول: "مشروع التراث والتجديد ليس عودة إلى الماضي وإغفالاً للحاضر، بل هو تحليل للحاضر في اكتشاف للماضي، الماضي حاضر معاش والحاضر تراكم للماضي، إن هذا التحليل رؤية علمية للواقع، لأن قراءة الماضي في الحاضر هو تحرير للإنسان في الحاضر من إفسار الماضي بالنقد والتطوير وإعادة البناء"².

نفهم من هذا القول أن تحليل التراث القديم هو تحليل للتاريخ، لأن التراث في الأخير وبكل معانيه هو تاريخ واجتهاد أجيال وعصور، ويهدف هذا التحليل إلى الفهم العلمي للتراث ومن ثم تكون عملية إعادة الإحياء وهذا هو المستوى الأول.

أما المستوى الثاني في تحليل التراث فهو تحليل العقلية القومية المعاصرة وإظهار مكوناتها عناصرها وأسبابا ضعفها وتخلفها وتحليل العقلية العربية المعاصرة حسب ما يرى حسن حنفي، هو تحليل للتراث ذاته ما دامت العقلية العربية المعاصرة عقلية تراثية تاريخية ومادام التراث كذلك مكونا رئيسيا لهذه العقلية³.

¹ - حسن حنفي، المشاريع العربية المعاصرة، المصدر السابق، ص 06.

² - حسن حنفي، حوار الأجيال، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، د. ط، 1998، ص 485.

³ - حسن حنفي، التراث والتجديد، المصدر السابق، ص 199.

نفهم من هذا التحليل العقلية العربية المعاصرة يسمح لنا برؤية الحاضر داخل الماضي ورؤية الماضي داخل الحاضر وعملية تحليل التراث يمكنها أن تصف لنا الحاضر على أنه حاضر ماش.

كما يرى حسن حنفي أن عملية التحليل لا يجب أن تتوقف عند حد تحليل التراث، بل لابد لنا كذلك وأن نأخذ موقفنا من الغرب برده إلى حدوده الطبيعية وإنشاء علم الاستغراب الذي يجعل الغرب موضوعا للدراسة وليس فقط ذات دراسة، كما أسس هو الاستشراق الذي كان فيه ذات دراسة ونحن موضوعا مدروسا وهكذا نستطيع في الأخير أن نأتي وانطلاقا من هذه الاعتبارات الثلاث (تحليل التراث، تحليل الذات، تحليل الآخر) بمحاولة للتتظير للواقع راصدين قضايا وتحدياته الرئيسية، وهي: حرية المواطن، العدالة الاجتماعية، الهوية... إلخ.

المبحث الثالث: ميادين التجديد في المشروع الفكري

سبق وذكرنا أن مشروع التراث والتجديد لحسن حنفي جاء كروية فكرية تهدف إلى محاولة تغيير للوضع الحالي لمشكلة التراث والتجديد المطروحة على الساحة العربية الإسلامية منذ بدايات عصر النهضة، ومنذ اتصال حضارتنا بحضارة الغرب المعاصرة، كما ذكرنا أن حسن حنفي دخل معركة التراث والتجديد برأيه فكرية تتمثل في العودة إلى التراث وإخضاعه إلى التحليل من أجل الفهم والاكتشاف في العودة إلى الواقع ومحاولة التنظير له، لكن الدكتور حسن حنفي لا يكتفي بهذا بل يرى بأن المعركة لا بد وأن تتعدى نطاق التراث لتكون على ثلاث جبهات أساسية أو ثلاث ميادين أساسية فما هي ميادين التجديد عند الدكتور حسن حنفي؟

المطلب الأول: اتجاهات التجديد في التراث

يذكر الدكتور حسن حنفي في كتابه "حصار الزمن" أن مشروعه الفكري (التراث والتجديد) بدأ يثير الانتباه بجبهاته الثلاث، الموقف من التراث القديم والموقف من التراث الغربي والموقف من الواقع والتجديد في هذه المجالات ضروري إذ أردنا أن نؤسس نظرة جديدة لواقعنا العربي المعاصر.

فالتجديد يبدأ من التراث وقد سبق لنا وأن تناولنا ذلك في الفصل الثاني، وذلك لأن المجتمعات العربية المعاصرة مجتمعات تاريخية تراثية تعيش بالتراث وعلى التراث، لذلك يقول الدكتور حسن حنفي "تهدف الأولى إلى إعادة بناء العلوم القديمة بناءً على ظروف العصر"¹. لذلك لزم علينا أن نتجاوز بفاعلية مع هذه الأزمة وأن نسعى إلى تجديد الموروث القديم بطرق وأساليب تسمح لنا بالتعاطي مع هذه الأزمة، وقد كانت لمفكرنا رؤيا حيال ذلك.

¹ - حسن حنفي، حصار الزمن، إشكاليات الحاضر، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ط1، 2004، ص183.

أما الميدان الثاني المنوط بالتجديد فهو الموقف من الآخر، من الغرب وثقافته، والتجديد هنا حسب حسن حنفي يخص الموقف من العلاقة بين الأنا والآخر، حيث عرفت الساحة الفكرية في العالم الغربي المعاصر عدة مواقف تجاه الغرب وهذا ما عبر بقوله: "الموقف الأول هو موقف الانقطاع عنه ورفضه لأنه تراث الآخر المخالف والذي يمثل خطراً على الهوية (...). أما الموقف الثاني فهو موقف التواصل وموقف التيار العلمي العلماني الذي يرى أن الغرب نمط التحديث والموقف الثالث هو موقف الانتقاء من التراث الغربي ما يعبر عن حاجتنا العصرية ومطالبنا في التقدم والنهضة"¹.

نفهم من هذا أن المجتمعات العربية المعاصرة انبهرت بالغرب وبحضارته وبما وصلت إليه من حداثة ومعاصرة هذا ما ولد أزمة حقيقية بين هذه المجتمعات وبين تراثها ومن ذلك جاء هذا التباين في وجهات النظر بين منبهر ومتتبع لحضارة الغرب ومناهجه، وبين محافظ وداع إلى الأصالة وبين داع إلى الانتقاء والاختيار لما ينفع ويتلاءم مع متطلبات واقعنا.

أما الدكتور حسن حنفي فإنه يرى بأن هذه المواقف لم تستطع أن تحل الأزمة ودخل بعضها في حوار مع الآخر على حساب الحوار مع الأنا ولم يجد هذا الحوار إلا في اعتبار الغرب النموذج الواحد والوحيد للحضارة والتقدم، وعلى هذا الأساس يدعو الدكتور حسن حنفي إلى اتخاذ موقف جاد وجريء من الغرب وحضارته بالابتعاد على النقل والتقليد والعمل من أجل الإبداع والإضافة، حيث يقول في هذا الصدد: "وتهدف الثانية إلى التحول من النقل إلى الإبداع في علاقة الأنا بالآخر وتحول الغرب في مصدر للعلم إلى موضوع العلم وتأسيس علم "الاستغراب" في مقابل الاستشراق"².

¹ - حسن حنفي، هموم الفكر والوطن، دار قباء للطباعة، ط3، 1998، ص460.

² - حسن حنفي، حصار الزمن، المصدر السابق، ص183.

فالدكتور حسن حنفي هنا يدعو إلى فتح آفاق جديدة وإلى تصحيح مسار العلاقة بين الذات والعربية المعاصرة والانا وبين الآخر وهو الغرب الحديث والمعاصر، من خلال تأسيس علم الاستغراب، وهذا من أجل أن جعل الغرب موضوعا للدراسة فهذا ليس من اكتشاف من هو الآخر الذي نتواصل معه، والذي أبهرنا بما وصل إليه من تقدم فكري وتقدم علمي وتكنولوجي، بعدما كنا نكتفي بأن نكون ذاتا مدروسة من قبل الغرب بمناهجه العلمية المتقدمة.

والميدان الأخير الذي يشمل التجديد هو الواقع، والواقع يختلف في طبيعته عن الموروث والوافد فالواقع حسب حسن حنفي له مشكلاته وتحدياته يحتاج من الفكر موقفا حضاريا، وهو نظيرة في تغيير الواقع.

حيث نجد أن الفكر العربي الإسلامي المعاصر وقف من الواقع أكثر من موقف تأرجح بين التبرير والرفض والانعزال، حيث يقول: "وتهدف الجبهة الثالثة إلى التنظير المباشر للواقع، دون توسط الزمن القديم من الآن أو الجديد من الآخر من أجل ممارسة عملية الإبداع الذاتي وإنشاء نص ثالث جديد"¹.

نفهم من هذا أن الدكتور حسن حنفي يعتقد أن المواقف الحالية في الساحة الفكرية عجزت عن التعبير عن هذه الأزمة وحلها، لذلك يرى أن تغيير الواقع لابد أن يكون بموقف جديد يقوم على التنظير المباشر لهذا الواقع وذلك بعد العيش معه وخوض التجارب فيه وتحليل مكوناته، بعدها يسهل علينا فهمه والتعبير عنه ومحاولة تجاوز ذلك لإصلاحه، حيث يقول: "وهنا تأتي أهمية الموقف الرابع الذي يقوم على التنظير المباشر له بعد العيش معه وتجربته وإدراك مكوناته والإحساس به ثم محاولة فهمه والتعبير عنه دون الاعتماد على التراث العربي"².

¹ - حسن حنفي، حصار الزمن، المصدر السابق، ص 183.

² - حسن حنفي، هموم الفكر والوطن، المصدر السابق، ص 463.

المطلب الثاني: النقد والواقع العربي المعاصر

إن تاريخ البشرية الجمعاء من الحضارات القديمة وإلى غاية المجتمعات المعاصرة هو تاريخ النقد بامتياز، وذلك لأن النقد غالبا ما يمثل أداة التحول والانتقال من مرحلة تاريخية إلى أخرى، وهنا تكمن أهمية النقد بالنسبة للميادين الثلاثة المعنية بالتجديد حسب الدكتور حسن حنفي، الذي يرى أن الواقع العربي يحتاج إلى نقد يكون ثلاثي الأبعاد حتى يتم تحرير الذات العربية من أسرها

فالنقد الأول يتجه إلى الميدان الأول وهو ميدان الموروث القديم ذلك أن الحضارة العربية الإسلامية لا تتمثل في لحظة تاريخية واحدة، بل هي لحظات متجددة والتاريخ لا يتوقف والزمان مستمر لذلك لابد وأن يكون للنقد مكانة فيها، حيث يقول: "وظيفة النقد تصحيح العلاقة بالماضي دون الانقطاع معه أو التواصل فيه، أو الانتقاء منه، بل نقده تاريخيا بعد أن تكلس وأصبح مستقلا عن التاريخ وإعادة الاختيار بين بدائله أو إبداع بديل جديد"¹.

نفهم من ذلك أن المجتمعات العربية المعاصرة تعيش مرحلة حضارية تتميز بالانقطاع بينها وبين ماضيها، وهنا يتدخل النقد من أجل محاولة رد الصلة وتصحيح العلاقة مع الماضي، وإخضاع هذا الماضي لمحك النقد البناء من أجل إحياء النزعة الإبداعية للمجتمعات العربية المعاصرة.

أما النقد الذاتي فهو النقد الذي يتجه إلى الميدان الثاني وهو علاقة الأنا بالآخر، حيث يرى حسن حنفي أنه لابد لنا وأن ندخل النقد في علاقتنا مع الآخر، ونقوم بإخضاع الوافد إلينا من الغرب إلى محك النقد، كي يتسنى لنا الآخر من نفعنا وطرح ما لا جدوى لنا به، حيث يقول

¹ - حسن حنفي وآخرون، فلسفة النقد ونقد الفلسفة في الفكر العربي والغربي، مركز دراسات الوحدة العربية، القاهرة، د، ط، 2003، ص 32.

"والثاني نقد الوافد الجدد من القرب أساسا وتحول علاقتنا من مصدر للعلم كي يصبح موضوعا للعلم بدلا من التواصل معه كما يريد المنبهرون به أو الانقطاع معه كما يريد المنبهرون بالقديم، أو الانتقاء منه كما حدث في عصر النهضة الأول"¹.

نفهم من ذلك أن الوضعية الحضارية للمجتمعات العربية المعاصرة فتحت المجال أمام الثقافة الغربية لتكون وافدا على الثقافة المحلية هذا ما ولد نوعا من الارتباك في علاقات الثقافة العربية بهذه الأخيرة، حيث نجد المنبر المتبع والرافض المحافظ والداعي إلى الانتقاء والاختيار، وهنا ينبهنا مفكرنا إلى ضرورة إعادة النظر في هذه المسألة بنظرة نقدية بناءة، كما يدعوا إلى تأسيس علم جديد أطلق عليه تسمية الاستغراب من أجل إخضاع الغرب كذلك إلى الدراسة والنقد، آمليين في ذلك أن تتحرر الذات العربية من أسرها.

أما النقد الثالث فهو النقد الذي يتجه إلى الميدان الثالث وهو ميدان الواقع وإخضاع الواقع العربي المعاصر للنقد هدفه حسب الدكتور حسن حنفي هو تقنين الاتهامات الموجهة إلى الحضارة العربية الإسلامية بأنها حضارة نص وكتابة فقط، وكذلك حتى لا يصبح التنظير المباشر للدوافع حكرا فقط على الغرب فهو وحده القادر على التنظير وغيره من الحضارات تشرحه وتكتفي بالتهميش عليه حيث يقول: "والثالث نقد الواقع حتى لا ينحصر النقد الحضاري في نقد النص وحده نص القدماء أو نص المحدثين، ويصبح النص دائما بين الوعي العربي والواقع كنضارة دائما تساعد على الرؤية"².

¹ - حسن حنفي وآخرون، المرجع السابق، ص32.

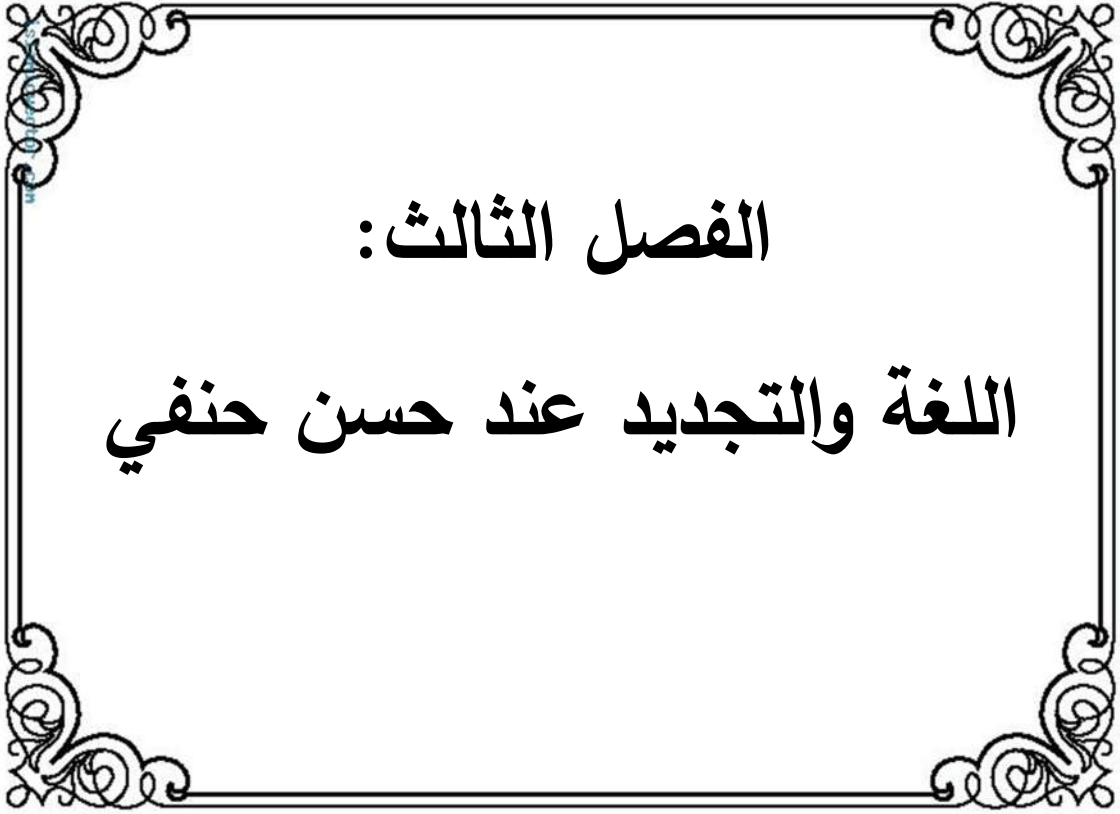
² - المرجع نفسه، ص32.

نفهم من هذا أن المجتمعات العربية المعاصرة ولكي تعي واقعها وتفهمه لابد لها مكن النقد الذي يفتح لها المجال إلى التنظيم فيما بعد، حيث يضم هذا النقد للواقع نقد الاحتلال ونقد التسلط ونقد الفقر والتبعية والتغريب واللامبالاة وعجز الشعوب.

بعد ما سبق ذكره وكخاتمة لهذا الفصل نخلص إلى مجموعة من النتائج نحصرها في النقاط الآتية:

- 1- المجتمعات العربية المعاصرة مجتمعات تراثية تاريخية تعيش بالتراث وعلى التراث فهو مخزونها النفسي الذي يؤثر في سلوك أفرادها شعوريا ولا شعوريا.
- 2- أن المجتمعات العربية المعاصرة تعيش أزمة مع تراثها سببها الوافد الغربي إليها، أو المعاصرة بآتم معانيها.
- 3- أزمة المجتمعات العربية مع التراث ولدت انقساماً فكرياً حول مشكلة التعاطي مع التراث، فظهر المحافظون الداعون إلى الأصالة، وظهر التعريبيون الداعون إلى المعاصرة، وظهر المنتقون من هذا وذلك والداعون إلى الوسطية.
- 4- أن غياب مشروع حضاري قومي يحمل حلاً لهذه الأزمة فتح المجال أمام المفكرين لتقديم رؤية تجديدية ومن بين هؤلاء الدكتور حسن حنفي.
- 5- أن مشروع الدكتور حسن حنفي يختلف عن الرؤى الفكرية السابقة له كونه دعا إلى إتباع فهم التحليل فيما يخص التراث والآخر والواقع.
- 6- أن الدكتور حسن حنفي فتح المجال لتأسيس علم الاستغراب الذي يكون الغرب فيه موضوعاً للدراسة والنقد والتحليل.

ومن خلال هذه النتائج الجزئية يمكننا أن نطرح السؤال مرة ثانية هل استوفى مشروع التراث والتجديد الحل الكامل لأزمة التراث أم أننا مازلنا في حاجة إلى محاولات أكثر للخروج من الأزمة؟



الفصل الثالث:

اللغة والتجديد عند حسن حنفي

سننتطرق في هذا الفصل، أحد المقومات الأساسية التي تكون الموروث الثقافي بالنسبة للفرد العربي وهي اللغة، والتي غالبا ما تعكس هوية وانتماء الأفراد إلى مجتمعاتهم وفي نفس الوقت يمكن اعتبارها مظهرا من مظاهر الحياة الاجتماعية، فهي تتبدل وتتطور، وعلى هذا الأساس فإن كبرى المشكلات في العالم العربي المعاصر، والتي تتعلق بجانب اللغة، هي كيفية النهوض باللغة العربية، ومدى استطاعتها على تلبية حاجات أهلها، في عالم ميزه التغير والتطور، وعليه قسمنا الفصل الثالث إلى مبحثان أساسيان، عرضنا في الأول مشروع التجديد اللغوي كجانب من جوانب التراث العربي، في حين خصص المبحث الثاني والأخير لعرض البديل اللغوي الذي قدمه حسن حنفي، كنتيجة مترتبة عن مشروع التجديد اللغوي.

المبحث الأول: مشروع التجديد اللغوي

تعتبر اللغة أحد المقومات الأساسية التي تكون الموروث الثقافي بالنسبة للفرد العربي، كما أنها تعكس هوية وانتماء الأفراد إلى مجتمعاتهم وفي نفس الوقت يمكن اعتبارها مظهراً من مظاهر الحياة الاجتماعية، فهي تتبدل وتتطور، وعلى هذا الأساس فإن كبرى المشكلات في العالم العربي المعاصر، والتي تتعلق بجانب اللغة، هي كيفية النهوض باللغة العربية، ومدى استطاعتها على تلبية حاجات أهلها، في عالم ميزه التغير والتطور، ولذلك جاءت جهود الكثير من المفكرين العرب المعاصرين في محاولة للنهوض باللغة العربية واستحداث لغة عصرية علمية تواكب العصر ومتطلباته، ومن بين هؤلاء، المفكر العربي حسن حنفي، وعليه يمكننا أن نتساءل: ما مفهوم اللغة؟ وكيف يتم التجديد فيها؟

المطلب الأول: مفهوم اللغة

يعرفها خليل أحمد خليل بأنها: "مل يلغي به: ما وقع الاتصال بواسطته بين فرد وفرد، أو بين فرد وجماعة، أو بين جماعات وأخرى"¹.

نلاحظ من خلال هذا التعريف أن مفهوم اللغة: اقتصر على الجانب الوظيفي أو الاستعمالي لها، فاللغة هي الأداة الأكثر استعمالاً في العملية الاتصالية التواصلية، سواء كان ذلك على مستوى الأفراد، فيما بينهم داخل مجتمع واحد أو على مستوى الأفراد والجماعات، أو على المستوى المفتوح والمتوسع أي بين الجماعات والمجتمعات.

كما تعرف اللغة "بأنها مفهوم مثالي يشير إلى الذخيرة المخزونة في عقول الناطقين، والتي تمكنهم من إنتاج الكلام وفهمه، أما الكلام فهو مجموع ما يقوله الناس، وهو المظهر الاجتماعي

¹ - خليل أحمد خليل، معجم المصطلحات الاجتماعية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995، ص341.

للغة، واللغة أكبر من الكلام، فمهما بلغ حجم عينة من المنطوقات، فإنها لا تمثل اللغة، كما ورد في تعريف اللغة بأنها مجموع من الأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم¹.

وما يفهم من هذا التعريف كذلك هو أن اللغة تمثل المخزون النفسي، لكل فرد من أفراد مجتمع ما وهذا المخزون يكون له دور التحكم في عملية إنتاج الكلام، وفهمه الذي يختلف عن اللغة حسب هذا التعريف، فهو يمثل دور المظهر الخارجي الاجتماعي للغة، أما وجه الاختلاف فهو من حيث السعة والحجم فاللغة أكبر من الكلام، فمهما بلغ حجم الكلام الذي ينطق به الأفراد، فإنه لا يمثل اللغة بأكملها، كما نلمس في هذا التعريف اختلاف اللغة عن بعضها البعض، وذلك حسب اختلاف الأقوام والمجتمعات، والاختلاف هنا يعني الجانب الاستعمالي للغة، لأن استعمال مجتمع ما للغة ما، ما هو إلا تعبير عن حاجيات وغايات ذلك المجتمع.

كما يعرفها مراد وهبة: language "اللغة تأخذ معنى اللسان، وعلم اللسان يعني علم اللغة، واللغة أداة اتصال بالرموز وبهذا يقال إن اللغة اتصال رمزي يستعين بأنماط من الكلمات المنطوقة أو المكتوبة وأنها للإنسان دون غيره من الكائنات"².

وما نفهمه من هذا التعريف، أن اللغة تترادف مع أداة النطق وهي اللسان، كما أنها تعبر عن تشكيلة رمزية معينة يتم من خلالها الاتصال والتواصل بين أفراد المجتمع. كما أن اللغة ظاهرة خاصة، تخص الإنسان دون غيره من الكائنات الأخرى.

أما الدكتور حسن حنفي فيعرف اللغة في كتابه "حصار الزمن فيقول": "والحقيقة أن اللغة ليست مجرد شكل كما يقول المحدثون، بل هي مضمون كما يقول القدماء، لفظ ومعنى، معنى وشيء يشير إليه اللفظ... فاللغة عالم من المعاني كما هو الحال في "علم الدلالة"، وهو عالم من

¹ - حسن شحاتة، زينب النجار، معجم المصطلحات التربوية والنفسية، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2003، ص247.

² - مراد وهبة، معجم المصطلحات الفلسفية، مرجع سابق، ص540.

الإشارات كما هو الحال في "علم الإشارة"، وإذا كانت الدلالة معنى فإن الإشارة توحى بفعل من أجل الإتيان بشيء دون استعمال صيغة الأمر، بالضرورة فاللغة علم مركب من الأصوات والدلالات والأفعال¹.

من خلال هذا التعريف: ينفي الدكتور حسن حنفي موقف الذين يعتبرون اللغة مجرد أشكال ورموز يعبر بها الأفراد عن حاجاتهم، ويتواصلون من خلالها. ويعطي تعريفا للغة حسب تعريف القدماء، وحسب أبعاد الفكر الثلاثة عنده. "اللفظ والمعنى والشئ" فاللغة كيان ومضمون، تعبر عن مجموعة من المعاني والدلالات، انطلاقا من اللفظ الذي يحمل معنى وهذا المعنى يعبر عن شيء يشير إليه اللفظ، كما أن اللغة عالم مركب ومتداخل من الأصوات والإشارات والدلالات والأفعال.

المطلب الثاني: قانون التجديد اللغوي

من خلال التعريف الذي قدمه حسن حنفي للغة، يرى بأن التجديد فيها لا يتم إلا عبر ثلاث مستويات أساسية: اللفظ، والمعنى، والشئ، حيث يقول في هذا الصدد "يحدث التجديد بعدة طرق بعضها خاص باللغة والبعض الآخر خاص بالمعاني، والبعض الثالث خاص بالأشياء ذاتها طبقا لأبعاد الفكر الثلاثة، اللفظ والمعنى والشئ"²، وإذا كان التجديد في اللغة لا يتم إلا عبر هذه المستويات حسب حسن حنفي، هل يمكننا القول بوجود مجموعة من القوانين أو القواعد والتي تضبط التجديد عبر هذه المستويات؟

يرى حسن حنفي في كتابه "حصار الزمن"، أن كل لغة من اللغات تحتوي على عنصر ثابت، وعنصر متحول، فالثابت يضمن لها البقاء في التاريخ والاستمرارية عبر العصور

¹ - حسن حنفي، حصار الزمن، إشكالات الحاضر، ص32.

² - حسن حنفي، التراث والتجديد، المصدر السابق، ص93.

والأجيال، أما المتحول فيضمن لها التجدد المستمر والتكيف والتأقلم مع معطيات الواقع المتغير طبعاً، حيث يشبه العنصر الثابت بجذع الشجرة، الذي لا يتغير ولا يتحول، أما العنصر المتحول فيشبه بالأوراق والثمار التي تسقط وتتجدد، من فصل لآخر ومن موسم لموسم آخر كي تعود من جديد كل عام، فأى من المستويات الثلاث التي ذكرها حسن حنفي هو العنصر الثابت وأي منها هو العنصر المتحول. أو بعبارة أخرى: هل يثبت اللفظ ويتغير المعنأ أن المعنى هو الذي يثبت فيغير اللفظ؟ أم أن الشيء هو المتغير؟

"وهنا يعتقد حسن حنفي أن الأشياء هي التي تثبت فالطبيعة لا تتغير بينما تتغير الألفاظ طبقاً للغات وحياة الكلمات، وتتغير المعاني طبقاً للتصورات والنظريات وتقدم المعارف، وحياة الكلمات بين الثابت والمتحول تحكمه قواعد معينة"¹.

إذن ومن خلال رؤية حسن حنفي هذه نستنتج أن الجانب المتغير في اللغة ينحصر في مستويين أساسيين، مستوى اللفظ، والمعنى والذي يحدث فيهما التغير طبقاً لمجموعة من الظروف والعوامل -تغيرات العصر- فالألفاظ تتغير وذلك طبقاً للغات وحياة الكلمات، بينما تتغير المعاني طبقاً للتصورات والنظريات وتقدم المعارف والعلوم، وهذا التغير تحكمه قواعد معينة نذكر منها ما يلي:

1/ لا تتغير اللغة ولا تكشف لغة جديدة إلا باكتشاف علم جديد فالعلم الجديدة، تصاحبها تصورات جديدة ومعاني جديدة كذلك، هذا ما يؤدي إلى تغير المعنى، واللفظ كذلك فعلى سبيل المثال هناك علم اللغة الاجتماعي وعلم اللغة النفسي، وعلم اللغة السياسي... إلخ. وكل علم من

¹ - حسن حنفي، حصار الزمن، المصدر السابق، ص32.

هذه العلوم، يحمل في طياته تصورات ومعاني جديدة تستلزم لغة وألفاظا جديدة، حيث يقول حسن حنفي "إن التجديد عن طريق اللغة هو بداية لعلم جديد"¹.

2/ إن اللغة القديمة مازالت تعبر عن مضمونها الأول، دون أن تستكشف عوامل جديدة يمكن من خلالها إسقاط ألفاظها القديمة، والتعبير عن مضمونها في لغة أكثر دقة، وقدرة على التعبير عن هذا المضمون لذلك يدعو حسن حنفي إلى تقليل المسافة بين اللغتين الموروثة والوافدة، وذلك لتظهر المعاني المتجردة للألفاظ القديمة. ومعنى هذا أن اللغة التقليدية أصبحت عاجزة عن التعبير عن متطلبات العصر -خاصة مع طول التصاقها بالمعاني الشائعة، لذلك حتى وإن أعطيناها معاني جديدة فغنها لن تؤدي غرضها المنوط بها، ومن ثم لا يمكن اعتمادها كأداة للتعبير والتواصل، حيث يقول حسن حنفي "لم تستطع أن تكشف العوامل المعاصرة مثل الشعور والذات ومازلنا نواجه الحضارة المعاصرة بمقولاتنا القديمة"².

3/ عملية التجديد في اللغة تتم بطريقة تلقائية، فالباحث لا يأخذ في البحث عن لغة جديدة وإنما يتم ذلك، والباحث في مكتبه فيجد نفسه ومع ثقافته الجديدة عاجز عن التعبير عن المعاني الموجودة في اللغة التقليدية، فالمعاني تراثية والتعبير متجدد، حيث يقول حسن حنفي "ينتقل الشعور من اللفظ التقليدي إلى المعنى الأصلي ثم من المعنى الأصلي إلى اللفظ المتجدد، فالمعنى إذ هو معنى التراث واللغة لغة التجديد"³.

4/ لا يهتم الناس بلغة ما ويعتقونها إلا إذا كانت وإن صح التعبير غزيرة ومتميزة، فالفكرة إذا تميزت بلغة محكمة وواضحة، اعتنقها أكبر عدد من الناس حتى وإن كانت خاطئة، وهنا يضرب لنا حسن حنفي مثالا عن فكرة داروين عن التطور، فعلى الرغم من كونها لا تقبل الصدق، إلا

¹-حسن حنفي، التراث والتجديد، المصدر السابق، ص94.

²-حسن حنفي، قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، دار المجد بيروت، ط3، 1987، ص62.

³-حسن حنفي، موقفنا الحضاري، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1985، ص78.

أن غزارة معانيها ودقتها أدى بالناس إلى الإيمان بها وهنا يقول الدكتور حسن حنفي "اللغة وسيلة للتعبير، ويمكن فكرة صحيحة أن نعبر عنها، بلغة غير محكمة فتضيع الفكرة وكما يمكن لفكرة غير صحيحة أن نعبر عنها بلغة محكمة فتثبت الفكرة وتنتشر"¹.

وبناء على ما تم ذكره في هذا المطلب نخلص إلى فكرة هامة مفادها أن التجديد في اللغة عند حسن حنفي لا يتم إلا وفق ثلاث مستويات أساسية، مستوى اللفظ، ومستوى المعنى، ومستوى الأشياء، حسب أبعاد الفكر الثلاثة، ولكل مستوى من هذه المستويات، حسب حسن حنفي، قاعدة أو منطق خاص، عن صح التعبير حيث ذكر لنا الدكتور حسن حنفي بعضاً من هذه القواعد، كالتمييز والدقة واكتشاف العلم والمعارف كل ذلك يسمح بخلق لغة جديدة وتطوير وتجديد اللغة التقليدية.

المطلب الثالث: نقائص اللغة التقليدية

إن عملية التجديد في اللغة، ضرورة طبيعية في رأي حسن حنفي، وقد سبق لنا وأن ذكرنا هذا، فالغاية من هذه العملية الجديدة هو استبدال اللغة التقليدية، بلغة جديدة، وذلك من أجل أن يتسنى لنا التعبير عن المعاني المتجددة في حياتنا، المعاصرة، طبقاً لمتطلبات الواقع، والتجديد بهذا المعنى يتم في الشكل وفي المضمون، فأما الشكل فهو اللغة، وأما المضمون فهو المعنى أو الشيء، وبذلك يمكن التعبير عن الأشياء القديمة بألفاظ جديدة، والغاية القصوى من هذا كله هو محاولة النهوض بواقع اللغة العربية كلغة حضارية ومن ثم النهوض بواقع المجتمعات العربية وإصلاحه وعلى هذا الأساس يرى الدكتور حسن حنفي بأن اللغة التقليدية، لم تتجاوب مع تطورات العصر الراهنة، وذلك لاتسامها بمجموعة من الخصائص، هي في نظر حسن حنفي معوقات تلازم اللغة التقليدية، كعيوب لصيقة بها.

¹ - حسن حنفي، التراث والتجديد، المصدر السابق، ص 94.

وسنقوم بعرض جملة من هذه الخصائص على سبيل الذكر لا الحصر وهي كالآتي:

1- أن اللغة التقليدية لغة دينية خالصة:

حيث يرى حسن حنفي بأن غالبية الألفاظ في اللغة التقليدية محصورة في مجال الدين، في¹ المعجزة والنبوة... إلخ، وكل هذه الألفاظ وغيرها مرتبط بالخارق والعادة والأخرويات وكل هذه المعاني في نظر حسن حنفي، لا ترتبط بالعصر الحاضر الذي يعبر عن العقلانية والحدثة، ويوافقه في هذا الرأي عفيف دمشقية الذي يقول "إن العرب لم ينفذوا بعد إلى ما في تراثهم اللغوي من أمور إيجابية ولا يزالون ويا للأسف يقيمون للأمور الأخرى -أمور القداسة- من الوزن ما يحجب كثيرا من النوافذ إلى أصالة البحث وكسر أسرار التوقع إلى رحاب التطور والخبرة"².

نفهم من هذا أن ألفاظ اللغة التقليدية، احتلت مرتبة القداسة في عقلية المجتمعات العربية، حيث مكنها هذا من الوقوف كحاجز أمام عمليات التطوير والإبداع، وهذا ما أدى إلى التوقع والانكماش والسكون مقابل التطور والخبرة.

2- أن اللغة التقليدية لغة تاريخية:

يقول حسن حنفي "وكل هذه الألفاظ لا تشير إلا إلى وقائع تاريخية وأشخاص أو حوادث"³. ومن خلال هذا القول نفهم بأن حسن حنفي أضفى على اللغة التقليدية صفة التاريخية وذلك لأنها لغة تعبر عن وقائع تاريخية ماضية، وتكتفي بسرد الحوادث، والحديث عن الإعلام والشخصيات، بينما تهمل ولا تهتم بالحديث عن الفكر، وعن الإبداع، فقد تذكر لنا اللغة التقليدية

¹ - حسن حنفي، قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، المصدر السابق، ص 62.

² - عفيف دمشقية، اللغة وباب الاجتهاد، الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، العدد 30، 1984، ص 31.

³ - حسن حنفي، التراث والتجديد، المصدر السابق، ص 96.

في نظر حنفي بأن هناك الفرابي في الفلسفة، والحنفية والشافعية في الأصول بينما تهمل التعبير عن فكر هؤلاء والغوص فيه.

3- أن اللغة التقليدية لغة متوقعة ومنغلة:

حيث يقول حسن حنفي "ونظرا لأنها في أصلها وافدة في المائتي عام الأخيرة منذ فجر النهضة العربية فإنها لم تستطع أن تحفر طريقها، في الثقافة نظرا لأن الألفاظ المعروفة تمثل سدا منيعا في الوجدان القومي تمنع من اختراقه..."¹.

يقصد حسن حنفي بجملة "الوافدة في المائتي عام الأخيرة" مجموعة من الألفاظ والتي يرى بأن حياة المجتمعات العربية المعاصرة هي التي فرضتها، بل وكثر استعمالها إبان حركات التحرر العربي، التي شملت كل الأقطار العربية تقريبا مثل: الأرض والوطن والحرية والاستقلال، والنضال والمقاومة وتغلب الإنسان، وكل هذه الألفاظ اصطدمت بهيمنة الألفاظ التقليدية والتي مثلت في ذهنية المجتمعات العربية، سدا منيعا وقف دون تغلغل هذه الألفاظ في الثقافة العربية المعاصرة، ويقدم لنا حسن حنفي مثالا عن هذه الألفاظ فيقول "... مثل الأمة، والجماعة، والشورى والجهاد والرزق والصحابة"².

إن، من خلال ما تم ذكره في هذا المطلب حول عيوب اللغة التقليدية والتي اكتفينا بذكر بعضها فقط، وذلك لأن الإلمام بكل الأفكار، حول عيوب اللغة التقليدية عند حسن حنفي، يتطلب بحثا خاصا به، كما أن ذكرنا لهذه الألفاظ الثلاثة، راجع لاهتمام حسن حنفي، بهذه الأفكار الثلاثة، اتسام اللغة التقليدية بخاصية التاريخية، وانحصارها في مجال الدين، وتقوقعها وانغلاقها على نفسها، هو ما دفع بالدكتور حسن حنفي، إلى أن يقدم لنا مشروع لغة جديدة،

¹- حسن حنفي، حصار الزمن، المصدر السابق، ص37.

²- المصدر نفسه، ص38.

تحاول الارتقاء عن كل هذه العيوب والنقائص، وهنا يمكننا أن نفتح السؤال مجدداً، حول اللغة الجديدة وأهم خصائصها فنقول: ما هي طبيعة اللغة الجديدة وما أهم خصائصها؟

المطلب الرابع: خصائص اللغة الجديدة

تكلّمنا في المطلب السابق عن اللغة التقليدية وما تتميز به من عيوب، والتي تمثل في نظر الدكتور حسن حنفي، عائقاً حقيقياً نحو التواصل والإبداع لدى المجتمعات العربية، لذلك وجب تأسيس لغة جديدة. تميزها مجموعة في الخصائص والسمات، نحاول من خلالها تقادي عيوب اللغة التقليدية، حتى تستطيع هذه اللغة الجديدة القيام بدورها، في المساهمة في إعادة بناء التراث من جهة، وفي المساهمة في عملية التواصل خاصة مع الآخر بتوضيح المعنى وتمكينه من رؤيته، واستيعابه بشكل إيجابي من جهة أخرى، كما أن رقي اللغة وتميزها هو في حد ذاته رقي للإنسان والمجتمع الذي أوجدها، حيث نجد عفيف دمشقية يقول في مقاله، اللغة وباب الاجتهاد: "وهي مؤسسة بشرية أقامها الإنسان لخيرة وهو أدري بشؤونها، واستكمالها في كل مرة، وليس في اللغة قداسة ولا كمال ولا ينبغي أن يحول حائل دون رقيها الذي هو رقي موجدتها¹ وإذا كانت اللغة الجديدة هي الأداة التي عبرها ترتقي الممارسة الاجتماعية فإن الدكتور حسن حنفي يقدم لنا مجموعة من الخصائص التي يجب أن تتميز بها اللغة الجديدة نذكر ما يلي:

1- أن تكون اللغة الجديدة عربية الأصل:

يقول حسن حنفي: "لقد حرصت في مشروع التراث والتجديد على تجنب الألفاظ المستعربة من أجل المحافظة على الأصالة اللغوية فهي شرط التعبير عن أصالة الفكر"². وذلك لأن اللغة تمثل في المجتمعات العربية جانبا من الثقافة، ونشر اللغة بألفاظها ما هو إلا نشر للثقافة كما

¹ - عفيف دمشقية، اللغة وباب الاجتهاد، الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص40.

² - حسن حنفي، التراث والتجديد، المصدر السابق، ص104.

أن اللغة كلما كانت أصيلة، كلما ساهمت في ترسيخ وعي الإنسان بكيئونه الوجودية، وبهويته الدينية والاجتماعية والقومية، وكل هذه الاعتبارات لا تتحدد إلا باللغة.

2- أن تعبر اللغة عن احتياجات الإنسان:

يقول حسن حنفي: "لن ندرك التقدم أو يصبح نسيجا في وعينا القومي إلا إذا حولنا بؤرة حضارتنا من الإلهيات إلى الإنسانيات"¹.

نفهم من ذلك أن الدكتور حسن حنفي يشير إلى أن العصر الحالي الذي نعيشه هو عصر الإنسان، وبالتالي فإن مهمة اللغة لأبد وأن تعبر عن متطلبات العصر، حتى يستطيع الفرد العربي المعاصر مواكبة التقدم، وحتى ترسخ في وعيه أفكار التقدم، وضرورة الخروج من دائرة التخلف، لذلك نجد الدكتور عبد الرزاق قسوم يوافق حسن حنفي الرأي، حيث يرى هو الآخر بأن اللغة الجديدة يجب أن تعبر عن احتياجات الإنسان وأن تجسد إرادته في العمل والفعل والقصد².

3- أن يكون للغة الجديدة ما يقابلها في الواقع:

وذلك حسب الدكتور حسن حنفي أن اللغة ومن طبيعتها أنها تنشأ من الحس وتخرج إلى الواقع، وذلك لمساعدة الباحث الذي يبدأ برؤية الشيء وفهمه لمعناه، ثم وضعه في لفظ مناسب له وعكس ذلك بالنسبة للسامع فهو يبدأ بسماع اللفظ ثم يحدد معناه ثم بعد ذلك يرى الشيء ولهذا يقول حسن حنفي "أن تكون اللغة لها ما يقابلها في الحس والمشاهدة والتجربة حتى يمكن ضبط معانيها والرجوع إلى واقع واحد يكون محكما للمعاني ومرجعا إذا تضاربت وتعارضت"³.

¹ - حسن حنفي، التراث والتجديد، المصدر السابق، ص 104.

² - عبد الرزاق قسوم، مدارس الفكر العربي الإسلامي المعاصر، ط1، دار عالم الكتب للطباعة، 1997، ص 107.

³ - حسن حنفي، التراث والتجديد، المصدر السابق، ص 105.

4- أن تكون اللغة التجديدية عامة وكلية:

ومثال ذلك لفظ العقل هو واحد لدى الجميع وبالإمكان استيعابه بنفس الدرجة ونفس المعنى، ويجب أن يتوفر في اللغة الجديدة وكأنها لغة علمية، والهدف من ذلك حسب الدكتور حسن حنفي هو حتى يتمكن العلماء في كل عصر التعامل بها، وحتى يصبح مشروع التراث والتجديد مشروعاً جماهيرياً.

5- أن تكون اللغة الجديدة مفتوحة تقبل التغيير والتبديل:

وذلك لأن اللغة كائن خاضع، للتطور باستمرار، والهدف هو تلبية الاحتياجات الناجمة عن التغيرات الاقتصادية والاجتماعية وتجلياتها المعرفية والعلمية ومن ثم يزول خطر التعقيد اللغوي السائد في فكرنا المعاصر، والتمسك بالألفاظ والمفاهيم الصعبة، وفي هذا السياق يقول حسن حنفي "كلما ازدادت اللغة صعوبة عظم الفكر عمقا، وصرح الباحث بأن اللغة العربية غير طيعة للتعبير في المفاهيم الحديثة والتطورات العصرية"¹.

6- أن تكون هذه اللغة عقلية:

وإضافة صفة العقلية على اللغة الجديدة يهدف من ورائه حسن حنفي إلى أن اللغة بهذا الوصف يفهمها كل الناس بلا شرح وبلا تعليق كذلك أي سؤال أو أي استفسار، يفهمه العقل بطبيعته ويتعامل معه كأنه منه ومثال ذلك لفظ "الحرية" حيث يقول حسن حنفي "يجب أن تكون اللغة عقلية حتى يمكن التعامل بها في إيصال المعنى"².

ختاماً، وبناءً على ما تم ذكره في هذا المبحث الخاص بمشروع التجديد اللغوي عند حسن نصل إلى مجموعة من النتائج نسجلها في الأفكار التالية:

¹- حسن حنفي، التراث والتجديد، المصدر السابق، ص106.

²- المصدر نفسه، ص107.

- 1- أن اللغة وكجانب من الموروث القديم بالنسبة للأفراد يجب أن تكون دائماً ذات قابلية للتجديد والتغيير والتبديل، وذلك من أجل أن يتسنى لها أداة وظائفها وتلبية حاجات الأفراد في كل الأزمنة والعصور.
- 2- أن التجديد في اللغة عند حسن حنفي لا ينحصر إلى جانب واحد، بل يكون متعدد الجوانب من اللفظ إلى معناه إلى الشيء الذي يشير له حسب أبعاد الفكر الثلاثة؟
- 3- أن اللغة القديمة في تراثنا تحتاج إلى تجديد وذلك لأنها تتميز بمجموعة من الخصائص هي بمثابة عوائق تقف أمام تطويرها، كالانغلاق على نفسها والتاريخية والانحصار في جانب واحد.
- 4- أن اللغة الجديدة المواكبة للعصر لابد لها من مواصفات تؤهلها لذلك كالعموم والكلية والانفتاح والقابلية للتبدل والتعبير، ولا ننسى الأصالة والتعبير عن الواقع¹.

¹ - فكتور سحاب، التراث وأزمة القيادة العربية، مجلة قضايا عربية، بيروت، العدد 2، 1983م.

المبحث الثاني: البديل اللغوي عند حسن حنفي

إن التجديد في اللغة يمثل جانبا من جوانب إحياء التراث القديم، في إطار مشروع التراث والتجديد عند حسن حنفي، وإن اللغة التقليدية الكلاسيكية تضم مجموعة من النقائص، لذا وجب استبدالها بلغة جديدة أكثر مواءمة مع متغيرات العصر الراهن، وفي محاولة لإعادة قراءة التراث القديم يقدم لنا صاحب مشروع التراث والتجديد، الدكتور حسن حنفي بديلا لغويا هو في نظره الحل الأمثل لإعادة قراءة موروثنا القديم هذا البديل اللغوي يتمثل في التأويل أي تأويل النصوص التراثية وإعادة قراءتها و محاولة فهمها ومن ثم الاستفادة منها في بناء المجتمعات العربية المعاصرة، وإصلاح واقعها وعليه يمكننا أن نطرح سؤالا هاما، ما هي طبيعة هذه القراءة التأويلية، وما أهميتها وما مدى مساهمتها في بناء الحاضر ومواكبة تحولات العصر؟

المطلب الأول: النقد التأويل وإعادة القراءة

يرى حسن حنفي بأنه وفي مقابل النقد الغربي الذي يرث فيه الجديد القديم هناك التأويل الشرقي أي إعادة قراءة القديم من منظور جديد.

حيث أن الممارسة التأويلية كمصطلح تقني تتجه إلى النصوص أي إلى المنتج المكتوب وقد تتسع هذه الممارسة لتشمل كل ما هو منتج ثقافي في مجتمع ما.

ويعرفه الدكتور حسن حنفي، في مقاله حول النقد والتأويل "وهناك التأويل الشرقي أي إعادة قراءة القديم من منظور الجديد دون أن يكون بديلا عنه أو هداما له"¹.

نفهم من هذا أن النقد والتأويل هنا يتجه إلى القديم، دون أن يحدث قطيعة معه، أو يلغيه أو يهدمه بل بالعكس لا بد من التواصل معه (القديم)، وإحداث أشكال التغير المطلوبة لذلك يقول

¹ - حسن حنفي، النقد والتأويل، فلسفة النقد ونقد الفلسفة في الفكر العربي والغربي، مركز دراسات الوحدة العربية، القاهرة، د. ط، 2003، ص21.

"وهو نقد من الداخل بمقياس تطور الزمن وإبقاء على التواصل مع القديم مع تغير أشكال التعبير"¹.

وانطلاقاً من التعريف الإيجابي الذي يقدمه حسن حنفي للتراث العربي الإسلامي باعتباره ليس مجرد تراث متحفي أو نمط سلوكي ماضوي فقط بل هو "نظرية للعمل وموجه للسلوك وذخيرة قومية يمكن اكتشافها واستغلالها واستثمارها من أجل إعادة بناء الإنسان وعلاقته بالأرض"². بمعنى أن التراث جزء من الواقع ومن المكونات النفسية للمجتمع، خاصة وأن المجتمع العربي هو مجتمع تراثي، ولا معنى للتعامل العلمي المجدد معه على طريقة المشرقيين بمعنى قول حسن حنفي "تكرار ما قيل والجمع بين أجزائه وأقصى ما نفعله لنشر المخطوطات دون تغيير أو تطوير وكأن التراث جسم ميت"³.

لذلك يرى حسن حنفي أن أي تعامل مع التراث لا يكون إلا من خلال استشاره وإعادة تأويله في ضوء إشكالاتنا الفكرية الحديثة، وأن القراءة النقدية التأويلية تعني استحضار عناصر الوعي، لبناء رؤية عقلية تمتاز بالوضوح العلمي، وهي كذلك قراءة تسعى للدخول والكشف عن جوهر الظواهر التراثية وربطها بجانبها التاريخي، حيث تتحول إلى نص، والنص بدوره إلى معنى ويتحول المعنى إلى أبنية فكرية، لها علاقة بحركية المرحلة الراهنة، والمستقبل القريب والبعيد، حيث يقول حسن حنفي في هذا الصدد "إن قراءة الماضي في الحاضر هو تحرير للحاضر من أسر الماضي، والتحرر من نقله بالنقد والتطوير وإعادة البناء، ولا يعود التراث والتجديد إلى الماضي بل يحفر في الحاضر ليكشف الماضي فيه مصادفة"⁴.

¹ - حسن حنفي، النقد والتأويل، المرجع السابق، ص 21.

² - المرجع نفسه، ص 11.

³ - حسن حنفي، موقفنا الحضاري، الفلسفة في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1985، ص 16.

⁴ - حسن حنفي، حوار الأجيال، المصدر السابق، ص 485.

بمعنى أن التأويل لا يعني مجرد الشرح والتحليل بل إعادة بناء الموقف من التراث القديم كله انطلاقاً من نشأة النص فمكوناته الرئيسية ووضعه في إطاره التاريخي، ثم نقله بالنقد إلى اللحظة التاريخية الراهنة وإعطائها أبعاداً جديدة، وهكذا فإن حسن حنفي بمحاولته هذه لإعادة قراءة الإسلام بنصوصه وأحداثه ومؤسسته، سعى إلى إعادة البناء، وتأسيس الأصول، بدءاً بالعلوم القديمة وتجديدها، وهي قد تتعدى الإسلام لتتناول ماضي الإنسان بكل ما يؤثر ويتأثر به ولذلك نجد الدكتور حسن حنفي يطلق عبارة "المخزون النفسي على التراث"، ومشروعه هذا يعني إعادة بناء وقراءة التراث حسب ما يناسب مع متغيرات العصر، حيث يقول "القراءة هي إعادة وبناء النص من بيئته الأولى القديمة إلى بيئته الجديدة وتأليفه مرة ثانية"¹. وهو بموقفه هذا يقف الفيلسوف من التراث ويتناوله تناولاً نقدياً تأويلياً يعيد من خلاله النظر في الأصول والنصوص.

ومن خلال ما ذكرناه نخلص إلى القول بأن حسن حنفي ركز في مشروعه الفكري على ضرورة النقد والتأويل، النقد الذي يعني إعادة البناء وليس الهدم، حيث تكون عملية البناء هذه ازدواجية أي تحتوي على الهدم والبناء في الوقت نفسه، لذلك إذا أردنا أن ننهض بواقعنا الراهن كعرب معاصرين حسب الدكتور حسن حنفي، لا بد من أن نعود إلى تراثنا بنظرة نقدية بناءة، خاصة إذا علمنا أن الآخر وهو الغرب قد اتجه نحو هذا النوع من النقد حيث يقول حسن حنفي "وقد عرف الغرب أخيراً هذا النوع من النقد، في الفكر المعاصر ونشأة علوم التأويل وأصبح الفلاسفة يقرؤون بعضهم بعضاً من أجل إعادة البناء والتطوير"².

¹ - حسن حنفي، حوار الأجيال، المصدر السابق، ص 485.

² - حسن حنفي، النقد والتأويل، فلسفة النقد ونقد الفلسفة في الفكر العربي والغربي، ص 21.

المطلب الثاني: الانتقال من اللغة إلى الفكر

يعتقد غالبية الناس بأن اللغة ليست سوى مجموعة من الألفاظ والتراكيب وأن اللغة مجرد أصوات ورموز، حيث أصبحت اللغة على هذا النحو، شكلا بلا مضمون، لفظا بلا معنى، صوتا بلا إشارة إلى عالم خارجي أو وقائع مادية، وكان الإشارة هنا مجرد شفرة من شخص إلى آخر لإيصال معاني دون أن تشير إلى وقائع، وأصبح الكلام يؤدي وظيفة ملء الفراغ بين الإنسان ونفسه أو بين الإنسان والآخرين.

وعلى هذا الأساس، يعتقد الدكتور حسن حنفي بأن قضية اللغة ليست قضية مصطلحات وكيفية نقلها من لغة إلى لغة أخرى عن طريق الترجمة، بتحويل المعنى إلى لفظ أصيل، أو التعريب -النقل الصوتي للفظ- حيث يقول في ذلك "كما أن قضية الترجمة أو التعريب تجعل مهمة اللغة مجرد نقل حضارة وافدة إلى حضارة موروثية، تجعل الوافد هو الأصل والموروث هو الفرع، المعنى من الخارج واللفظ من الداخل الإبداع من الآخر والنقل لئلا¹. أي أن مهمة اللغة على هذا النحو تتمثل في الاستيراد -استيراد المعاني من الآخر، ومحاولة مطابقتها مع الألفاظ الموروثية الأصلية وهذا ما يؤدي إلى غياب الإبداع والإنتاج الفكري والدخول تحت دائرة النقل والإتباع والتقليد الفكري الآخر.

وعلى هذا لأساس، يرى الدكتور حسن حنفي بأن مهمة مجامع اللغة لا يجب أن تقتصر فقط على الترجمة، وعلى محاولة المحافظة على اللغة، وعلى أصالتها حيث يقول "وتجتهد مجامع اللغة العربية في وضع القواميس والمعاجم حرصا على نقاء اللغة، والتميز الدقيق بين الألفاظ، واستخراج ألفاظ قديمة لاستعمالات جديدة أو قبول الألفاظ الجديدة الوافدة بعد أن تعربت

¹ - حسن حنفي، حصار الزمن، المصدر السابق، ص 30.

بالاستعمال في هذا القرن"¹. بل يجب أن تتعدى ذلك بمحاولة التحول من اللغة إلى الفكر خاصة إذا علمنا أن اللغة العربية تمثل من الاتساع ما يمكنها من ذلك، وعليه يمكننا التساؤل مع حسن حنفي: ما هو برنامج مجامع اللغة العربية للتحول من اللغة إلى الفكر ومن الفكر إلى العالم؟

1- تحليل الخطاب العربي المعاصر:

حيث يشمل الخطاب العربي المعاصر، الخطاب السياسي، والديني، والفلسفي، والاجتماعي، والإداري، والقانوني، والتاريخي، والتحليل هنا يكون من أجل معرفة إلى أي حد يدل هذا الخطاب على شيء أو يفيد معنى أم أنه مجموعة من الألفاظ المتعلقة على ذاتها حيث يقول في هذا الصدد "وأحيانا ينغلق الخطاب على نفسه في مجموعة من الألفاظ وكأنها توحى بذاتها كما هو الحال في الأيديولوجيات القطعية أو المذاهب المغلقة"².

يأتي هذا الكلام بعدما لاحظ حسن حنفي بأن بعض الخطابات العربية المعاصرة لا ينطبق عليها هذا الوصف كالخطاب السياسي مثلاً، حيث يقول: "فالخطاب السياسي العربي المعاصر، يعد ويتوعد يمني ويتمنى، يرهب ويرغب، يكشف عن السطح ويسير في العمق، يخاطب الوجدان البطولي، وكأنه خطاب عنتر بن شداد أو طارق بن زياد، الانفعال في عل والإنشاء أخبار والتمني تقرير"³.

وعلى هذا الأساس يدعو حسن حنفي إلى ضرورة التحليل، ثم توجيه هذا الخطاب إلى عالم الأشياء، والوقائع لإعادة قياسه عليه، حتى لا يصبح فضفاضاً أكثر منه أو ضيقاً عليه أقل

¹ - محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر بيروت، د ط، 1972، ص 227.

² - حسن حنفي، حصار الزمن، المصدر السابق، ص 35.

³ - المصدر نفسه، ص 35.

منه، وبدلاً من امتلائه بالإنشائيات أو بالصراخ فإنه لابد وأن يتأسس على واقع إحصائي دقيق حتى تستطيع الكلمات أن تصبح وقائع.

2- توجيه اللغة واستبدال الألفاظ:

حيث يرى حسن حنفي بأن ألفاظ اللغة تهرم وتشيوخ، وتعجز في بعض الأحيان عن التعبير عن المعاني المستجدة والوقائع المتغيرة وتبدل مستوى الثقافات من جيل إلى جيل، وهنا لا يجب أن تقتصر مهمة مجامع اللغة العربية على إقرار ما هو موجود وصفا وتحليلاً من استعمالات اللغة في حيث الناس، أو اللغة كما تختلف في الأسواق والطرق بالإضافة إلى لغة المعاجم والقواميس فقط، بل لابد وأن تتعداها إلى توجيه اللغة واستبدال ألفاظها وذلك لأن عالم اللغة في نظر حسن حنفي هو المصطلح والمجدد حيث يقول "فعالم اللغة مصطلح اجتماعي، يساهم بدوره مثل السياسي والمصطلح الديني، والمتقف الثوري في التغيير الاجتماعي عن طريق فك الرموز وإعادة توجيه المسار اللغوي"¹.

3- التحول من تحليل الخطاب المدون إلى التحليل الخطاب الشفاهي:

حيث يرى حسن حنفي بأن الثقافة العربية كانت في بداياتها شفاهية وكان التدوين فيها متأخراً وبقي مركزها إلى الآن يحفظ شفاهياً، وما يزال علمها إلى الآن ينقل شفاهياً، حيث أن الخطاب المدون له قواعده وتراكيبه اللغوية الخاصة، كما لابد أن وأن يكون للخطاب الشفاهي آلياته وأساليبه.

وهنا تكون ضرورة تحليل الخطاب الشفاهي في إبراز وإظهار "أهمية الأمثال العامة وسير الأبطال الشعبيين، المختلطة بسير الصحابة كمكون رئيسي للوجدان الشعبي يستمد منها

¹ - حسن حنفي، حصار الزمن، المصدر السابق، ص 36.

قيمه ومثله"¹. حيث يرى حسن حنفي بأن النص الديني والمثل الشعبي يؤديان نفس الوظيفة، فالأول كثافة عامة، والثاني كثافة شعبية لا بد كذلك وأن نهتم بها بالتحليل والنقد.

4- إثارة معاني الألفاظ ونثر الغبار التاريخي عنها:

حيث يساعد ذلك على إثارة الفكر وبداية حركة تنوير جديدة باستعمال ألفاظ جديدة، والهدف من ذلك كما يقول حسن حنفي "تحريك المياه الراكة وبعث الناس على التساؤل، حول صحة الأفكار الشائعة والمسلمات الاجتماعية"².

ومن خلال ما تم ذكره في المطلب وبناءا عليه نخلص إلى أن عملية الانتقال من اللغة إلى الفكر لا تتم في المجتمعات العربية المعاصرة، إلا بتحول دور مجامع اللغة العربية من رعاية اللغة وحفظها، إلى محاولة تحريكها وتجديدها طبقا ومتغيرات العصر الراهنة حتى تتمكن من إثارة الفكر وبداية حركة الإبداع والتغيير كما يرى حسن حنفي.

المطلب الثالث: الانتقال من النص إلى الواقع

من النص إلى الواقع هو عنوان مؤلف للدكتور حسن حنفي، في إطار مشروعه الحضاري التراث والتجديد، حيث أن هذا المؤلف جاء للرد على شبهة مفادها "أن التشريعات الإسلامية حرفية فقهية تتضح بالمصالح العامة قاسية لا تعرف إلا الرجم والقتل"³ كما جاء لإعادة بناء أصول الفقه، ومن ضمن مكاسبه خروج بعض الحركات الإسلامية المعاصرة من النص الحرفي إلى تطبيق شعاراته ومعانيه.

¹ - حسن حنفي، إعادة دراسة الموروث القديم، الفلسفة في الوطن العربي في مائة عام، مركز دراسات الوحدة العربية، القاهرة، د ط، 2000، ص29.

² - المرجع نفسه، ص30.

³ - حسن حنفي، من النص إلى الواقع، الجزء الأول، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ط1، 2004، ص08.

كما يشير الدكتور حسن حنفي على تفرد كتابه من الزمن إلى الواقع وتميزه ن غيره خاصة الكتب الأصولية القديمة، ويبين في الوقت نفسه الدافع الذي كان وراء محاولته لإعادة بناء علم أصول الفقه حيث يقول "فالنص تجربة مشتركة بين الأصولي الأول القديم والأصولي الثاني الحديث يقوم بالقراءة وهو المؤلف لصالح قارئ ثان يئن من الفقه القديم الذي تضيق فيه مصالحه"¹.

وانطلاقاً من هذا يرى حسن حنفي أن القدماء اتبعوا طريقتين في تدوين علم الأصول، طريقة المتكلمين وطريقة الفقهاء، بينما في مؤلفه وبالتحديد في جزء بنية النص اتبع طريقة المحدثين، وهي تحليل الزمن باعتباره تجربة شعورية، حيث يصف لنا حسن حنفي كتابة هذا بجزأيه "تكوين النص" و "بنية النص" بما يلي:

الأول "تكوين النص" أقرب إلى الشكل منه إلى المضمون وذلك لمعرفة كيفية تكوين النص باعتباره شكلاً، أما الجزء الثاني "بنية النص" فهو أقرب إلى المضمون منه إلى الشكل².

نفهم من خلال هذا أن الدكتور حسن حنفي حاول في مؤلفه هذا، إبراز جانب من مشروعه الفكري الحضاري، وهو إعادة بناء علم أصول الفقه من جديد متبعاً منهجاً مغايراً للمنهج السائد، ويأتي هذا العمل على غرار ما قدمه من أعمال أخرى كمؤلفه "من النقل إلى الإبداع" والذي حاول فيه كذلك إعادة بناء علوم الحكمة.

أما فيما يتعلق بالمناهج التي اعتمدها حسن حنفي في مؤلفه هذا فقد تميزت بالاختلاف والتنوع، حيث اختلفت عن باقي الكتب الأصولية القديمة والحديثة والمعاصرة، حيث اعتمد في هذا المؤلف على فلسفة مناهج التراث والتجديد، بشكل عام، وهي فلسفة التجديد اللغوي، المرتبط

¹ - حسن حنفي، من النص إلى الواقع، المصدر السابق، ص 08.

² - المصدر نفسه، ص 08.

طبعاً بالتطور الذي شهدته علوم اللغة والتطور الذي عرفتة علوم النص والتأويل¹، كذلك (الهرمينوطيقاً)، كما اعتمد كذلك المنهج الظواهري باعتباره مستوى حديث في التحليل، كما استخدم عدة مناهج أخرى اقتضتها ظروف بحثه مثل المنهج التاريخي وغيره.

وهنا لابد وأن نشير إلى نقطة أساسية تميز بها التأليف عند حسن حنفي هي ظاهر "النقد الذاتي" وذلك من خلال الانتقادات التي توجه لمؤلفاته، نذكر من بينها: غياب التوازن بين التراث والتجديد تارة لصالح التراث وتارة أخرى لصالح التجديد.

المطلب الرابع: التجديد في المصطلح والمادة العلمية

ذكرنا في السابق أن التجديد في اللغة والمصطلحات في نظر الدكتور حسن حنفي - يأخذ أبعاداً ثلاثة تبدأ بالتجديد في الألفاظ، ثم في المعاني، التي توحى بها الألفاظ ثم في الأشياء التي تشير إليها تبعاً للفكر وأبعاده الثلاثة وأهمية التجديد في المصطلح، فظهر حسب تعبير حسن حنفي في "أن اكتشاف لغة جديدة هو اكتشاف العلم، وطالما تأسس العلم بتأسيسي لغته أولاً"². أي أن تأسيس المصطلحات واكتشافها هو بمثابة تأسيس قاعدة جديدة لعلم جديد.

ويضرب لنا حسن حنفي مثالا عن الألفاظ "أصول الفقه"، والتي يرى بأنها جميعاً تتميز بالعموم، وبالانطباق على أية ثقافة وعلى أي نص من النصوص الدينية خاصة بالنسبة لأساليب الرواية ومناهج اللغة، والتي يرى بأنها لغة تقبل التجديد لكونها مفتوحة ومنفتحة³.

¹ - حسن حنفي، من النص إلى الواقع، المصدر السابق، ص 9.

² - مطاع الصفدي، إستراتيجية التنمية، التأويل وسؤال التراث، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، العدد 3، 1984، ص 15.

³ - المرجع نفسه، ص 16.

أي أن اللغة التي استخدمها حسن حنفي في كتابه "من النص إلى الواقع"، تأخذ هذه المواصفات محاولاً خلالها إبراز أهمية التجديد في المصطلحات اللغوية في ميدان أصول الفقه، حيث يؤكد أنه أوجد الكثير الإحياءات، والدلالات الجديدة للعديد من المصطلحات التي يرى بأنها قديمة، ويتعلق الأمر ب: المصطلحات التي تعبر عن المضمون مثل: التجربة العامة (للقرآن)، والتجربة النموذجية (للحديث)، والتجربة المشتركة (للإجماع)، والتجربة الفردية (الاجتهاد)¹.

كما يتطرق حسن حنفي في نشاطه الفكري التجديدي لعم أصول الفقه، إلى جانب "الأمثلة الفقهية" حيث يرى أن أمثلة الفقه الخاصة بالعبادة مازالت واردة وبكثرة في علم أصول الفقه، في حين أن ظروف وأحوال العصر تغيرت وانتقلت من العبادات إلى المعاملات، ويرى كذلك بأن الأمثلة الفقهية التي ينبغي أن يشتغل عليها الفقه وأصوله، تتمثل بالأساس في مجموعة من التحديات، والتحدي الأول هو تحرير الأرض، والتحدي الثاني، تحرير المواطن والدفاع عن حريته، الثالث العدالة الاجتماعية والرابع وحدة الأمة والخامس التنمية المستقلة، ضد مظاهر التخلف، والسادس الدفاع عن الهوية والأصالة، ضد التبعية، والسابع تجنيد الناس وحشد الجماهير²، فهذه الموضوعات هي التي تحدد المادة الأصولية والأمثلة الفقهية.

ختاماً وفي نهاية هذا الفصل الذي خصصناه للحديث عن المشروع الفكري التجديدي للغة، عند حسن حنفي، نتوصل إلى مجموعة من النتائج نلخصها في الأفكار التالية:

- أولاً: باعتبار اللغة ظاهرة اجتماعية، وجانباً من جوانب التراث بالنسبة للفرد العربي، إلا أن الدكتور حسن حنفي يرى بأنه ومن الضروري أن تكون منفتحة وقابلة دائماً للتطور والتجديد، كي تستطيع القيام بدورها المنوط بها داخل المجتمع وفي كل زمن وحقبة.

¹ - مطاع الصفدي، إستراتيجية التنمية، المرجع السابق، ص 16.

² - حسن حنفي، هموم الفكر والوطن، دار قباء للطباعة والنشر، ج 2، ص 463.

- ثانيا: أن اللغة التقليدية القديمة لغة معرقة للفكر، وذلك نظرا لما تحوي عليه من عيوب ونقائص، لابد من تجاوزها بتأسيس لغة جديدة أكثر مواءمة، وأكثر تماشيا مع متغيرات العصر الراهنة.

- ثالثا: أن المجتمعات العربية المعاصرة -حسب الدكتور حسن حنفي- تحتاج إلى التجديد في اللغة، من أجل النهوض بواقعها، المتراجع، وباستحداث بدائل لغوية لقراءة الموروث القديم، كالتأويل الذي يفتح المجال أمام اللغة للانتقال من جانبها، النظري إلى جانب الفكر، والانتقال من النص إلى الواقع كذلك¹.

- رابعا: نوافق حسن حنفي الرأي بأن الضرورات التعبيرية المتجددة تحتاج على موقف متجدد وإلى تجديد في اللغة، ولكن: ألا تمثل اللغة جزء من التراث القديم؟ والتراث كما يقول حسن حنفي "مخزون نفسي لدى الجماهير"، وهنا أن نطرح السؤال مرة أخرى، كيف يمكن لنا عقلنة جانب نفسي في الإنسان؟ إضافة إلى ذلك، نتساءل مرة أخرى هل استطاع حسن حنفي إحداث التجديد المطلوب في اللغة؟ وهل استطاع فعلا تجاوز اللغة التقليدية؟

وفي الأخير، وكما تساءلنا في الجزء الذي خصصناه للتراث، نبقي التساؤل هنا كذلك مفتوح، فهل يكفي أن نجدد لغتنا حتى نستطيع أن نهض بواقعنا وبتراثنا وأن نواكب العصر؟

¹ - حسن حنفي، هموم الفكر والوطن، المصدر السابق، ص 463.

خاتمة

خاتمة:

على ضوء تحليل الإشكالية المطروحة في هذا البحث، يمكن إجمال النتائج المتوصل إليها في الأفكار التالية:

1 - لا يكون المجهود الفكري التجديدي إيجابياً وفعالاً، إلا إذا استند لمجموعة من الأسس والركائز العلمية والمنهجية، كالمعرفة، الوعي، والفعالية، فالمجدد الذي لا يحوز على درجة علمية وعلى قدر وافر من المعرفة بالتراث، وبمكوناته وعناصره الأساسية، والتي يمكنه من قراءة هذا التراث، ومن تفكيكه ونقده لا يمكنه أن يقدم لن عملاً إبداعياً على المستوى الفكري لأنه وبكل بساطة يفتقر إلى المقومات الأساسية، فالمعرفة شرط أساسي ولكنها لا تتحقق إلا باقترانها بالوعي كي لا تصبح مجرد تراكم للأفكار والمعارف، لأن المفكر الواعي هو وحده الذي يستطيع تشخيص الوضعية الحضارية التي يعسها المجتمع الذي ينتمي إليه ومن ثمة يمكنه القيام بعمل التجديد المرغوب فيه والمطلوب، الذي يحمل تأسيس خارطة ثقافية وفكرية جديدة تنير طريق المجتمعات العربية.

2 - لم يسر منحى التجديد في الفكر العربي المعاصر في اتجاه واحد، ولم ينبثق رؤيا فكرية واحدة، حيث انقسم المجددون بين الداعين إلى الأخذ بأسباب الحضارة والاندماج مع الغرب والتخلي عن كل ماله صلة بالماضي أمثال الدكتور زكي نجيب محمود، وبين من يدعون إلى التجديد من خلال الرجوع إلى الماضي والتمسك بالتراث القديم للنجاة من الدمار والهزيمة والانحطاط وبين من يدعون من جهة ثانية إلى الانتقاء من التراث والحضارة الغربية ما يكون نافعا بعد دراسته ونقده ومن ثمة محاولة تجاوزه إلى الابداع والابتكار.

3 - يرى الدكتور حسن حنفي بأن تمسكنا بترائنا الديني والثقافي لا يكون ممسكا لنا من الانهيار والهزيمة والدمار إذا كان هذا التمسك مبنياً على نظرة اطمئنان لوجود الكتب المحتوية

خاتمة

على هذا التراث فوق رفوف المكتبات وإنما يكون ممسكاً لنا من الدمار إذا كانت نظرتنا إليه نظرة إحياء وبعث وتجديد تكون وسيلة إنقاذ لنا مما نحن فيه وطريقة حياة جديدة نحياها في مستقبل قريب أو بعيد.

4 - يندرج مشروع التجديد في الفكر العربي المعاصر ضمن سلسلة المشاريع الفكرية التي شهدتها الوطن العربي خاصة في النصف الثاني من القرن العشرين والسبب هو الهزيمة التي منيت بها المجتمعات العربية سنة 1967م والتي أَلقت بظلالها على كل المستويات خاصة المستوى الفكري الذي استوجب القيام بمجموعة من المشاريع الفكرية الحضارية من بينها مشروع التجديد.

5 - في نظر حسن حنفي تعاني المجتمعات العربية المعاصرة أزمة حقيقة مع تراثها ولهذه الأزمة عدة أسباب أهمها الحداثة الغربية ومن عدها المعاصرة وما توصل إليه الغرب من تطور على كافة الأصعدة الأمر الذي أحدث شراً وانفصاما بين المجتمعات العربية المعاصرة وبين تراثها وهذا ما فتح المجال أمام العديد من التساؤلات من جهة ومن جهة أخرى أدى إلى انقسام واضح في أوساك المثقفين العرب المعاصرين حول هذه المسألة.

6 - يأخذ الدكتور حسن حنفي بكل القراءات السابقة للتراث حيث نجده يتفق مع بقية المفكرين العرب على التصنيف الثلاثي للموقف من التراث القديم التواصل الانقطاع والانتقاء مع تنبيه لموقف رابع خاص به هو إعادة بناء الموقف من التراث القديم.

كما يرفض النزعة التقديسية للتراث لكونها حسب نظره نزعة تاريخية لا علمية.

7 - دعوة الدكتور حسن حنفي المفكرين العرب إلى تأسيس ما سماه علم الاستغراب كحركة مضادة للاستشراق أي دراسة المجتمع والفكر الغربي ونقده على كل المستويات ومن ثمة إزالة عقدة الغرب والتبعية له.

8 - التجديد في اللغة عند الدكتور حسن حنفي يتم عبر ثلاث مستويات اللفظ والمعنى والشيء، حيث أن التجديد حسب رأيه لا يتم إلا من خلال استعمال لغة العصر، وهذا ما نلمسه في مشروعه الذي أراد من خلاله بث الحياة في اللغة وإحيائها كما أن مشروع حسن حنفي في التجديد اللغوي يشمل المستويين الشعبي والعلمي رغبة منه في مشاركة الجماهير.

ومن خلال ما تم ذكره يمكننا القول أن مشروع الدكتور حسن حنفي في التجديد لا يخلو من المناقشة والتحليل حيث يمكننا التساؤل: هل المشكل فقط موجود في اللغة؟ أم أنه خاص بنقص الوعي في الإنسان ككل؟ وهل يكفينا تجديد اللغة حتى يتجدد الفكر أم أن العكس هو الصحيح؟ لأنه هناك لغات علم وتقدم حضارة ولغات جمود وتخلف وانحطاط، فكل اللغات بإمكانها أن تتحول إلى لغات علم ومعرفة، عندما يتوفر الجو الملائم والمناخ الطبيعي لتطورها أي عندما يصبح الناطقون بها منتجين للعلم والثقافة والتكنولوجيا.



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أ / المصادر:

1. حسن حنفي: التراث والتجديد، (موقفنا من التراث القديم)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، د ط، 1992.
2. حسن حنفي، حصار الزمن (إشكالات الحاضر)، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ط1، 2004.
3. حسن حنفي، حوار الأجيال، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 1998.
4. حسن حنفي، قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، دار المجد، بيروت، ط3، 1987.
5. حسن حنفي، من النص إلى الواقع، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ج1، ط1، 2004.
6. حسن حنفي، هموم الفكر والوطن، دار قباء للطباعة، القاهرة، ج2، ط3، 1998.

ب / المراجع:

1. أحمد ماضي، العقل والعقلانية عند زكي نجيب محمود، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، 1987.
2. زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، ط 8، 1987.
3. طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2002.
4. طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994.
5. طه عبد الرحمن، روح الحداثة (المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، ط1، 2006.

قائمة المصادر والمراجع

6. عبد الرزاق قسوم، مدار الفكر الإسلامي المعاصر، دار عالم الكتب للطباعة، الرياض، ط1، 1997.
7. علي حرب، بين الأختام الأصولية والشعائر التقدمية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2001.
8. ماجد الغزبائي، إشكالية التجديد، دار الهدى، بيروت، ط1، 2002.
9. محمد إبراهيم الفيومي، تأملات في أزمة العقل العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1991.
10. محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، بيروت، د ط، 1972.
11. محمد علي أبو الريان، الفلسفة وحياتها، دار المعارف، الاسكندرية، د ط، 1967.
12. مصطفى النشار، رواد التجديد في الفلسفة المصرية المعاصرة في القرن العشرين، دار قباء الحديثة، القاهرة، د ط، 2007.

ج / الرسائل الجامعية:

1. أبو بكر جيلالي، إشكالية تجديد علم أصول الفقه، دكتوراه جامعة وهران، 2007.

د / المجلات والدوريات:

2. زكي ميلاد، الفكر العربي الجديد، ملامح وقضايا، مجلة الكلمة، بيروت، العدد 22، 1999.
3. حسن الازغلي، نظرة في المشروع الفكري للدكتور طه عبد الرحمن، مجلة دراسات عربية، دار الطليعة، بيروت، العدد 3، 1984.
4. حسن حنفي، المشاريع العربية المعاصرة، مجلة الشروق الثقافي، العدد 11، 1984.

قائمة المصادر والمراجع

5. عبد الله عبد الدايم، المسألة الثقافية، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 15، 1985.
6. عفيف دمشقية، اللغة وباب الاجتهاد في الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، العدد 3، 1984.
7. ماجد الغرباوي، الثقافة والتجديد، مجلة رسالة الإسلام، القاهرة، العدد 46، 1999.
8. مطاع الصفدي، استراتيجية التنمية، التأويل وسؤال التراث، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، العدد 3، 1984.
9. محمد محفوظ، التجديد الثقافي في المشروع الثقافي الإسلامي المعاصر، مجلة الكلمة، بيروت، العدد 12، 1996.

الدوريات:

1. حسن حنفي، موقنا العربي (المستقبل العربي)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، د ط، 1985.
2. حسن حنفي، موقنا الحضاري (الفلسفي في الوطن العربي)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، د ط، 2003.
3. حسن حنفي، إعادة دراسة الموروث القديم (الفلسفة في الوطن العربي)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، د ط، 2000.

و / المعاجم والموسوعات:

1. ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث، دار صادر، بيروت، ط3، 1994.
2. إبراهيم مدكور، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العالمية للكتاب، د ط، د ت.

قائمة المصادر والمراجع

3. أندريه لالاند، الموسوعة الفلسفية، المجلد الثالث، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2001.
4. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ط، 1994.
5. حسن شحاتة، زينب النشار، معجم المصطلحات التربوية والنفسية، الدار المصرية، ط1، 2003.
6. خليل أحمد خليل، معجم المصطلحات الاجتماعية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995.
7. روزونتال بودين وآخرون، الموسوعة، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1997.
8. مراد وهبة، معجم المصطلحات الفلسفية، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، د ط، 2007.

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضي (ة) ادناه :

السيد(ة): زروقي صالح

الصفة(طالب، استاذ باحث، باحث دائم):

204808556

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم:

الصادرة بتاريخ: 10/11/2019 عن المؤسسة عينه الخضراء

المسجل(ة) بكلية: علوم إنسانية / قسم الفلسفة

تخصص: فلسفة عامة تحت رقم التسجيل: 8012038075168968

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، اطروحة دكتوراه)

عنوانها: التجديد في الفكر العربي المعاصر
مسألة عينه النموذج

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في
انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: 2024 / 05 / 28

امضاء المعني (ة): [Signature]

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع:

التجديد في تفكير العربي المعاصر
حسن حسني النور

إعداد الطلبة:

1- زررغني صالح رقم التسجيل: 2801202323075108968
2- رقم التسجيل:

القسم: الفلسفة الشعبة: الفلسفة التخصص: فلسفة عامة
إشراف: الدكتور لطيف الزبيح الرتبة: أستاذ محاضر

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2023-2024 وأسمح بإيداعه على مستوى إدارة القسم للمناقشة والتقييم.

رئيس فريق الاختصاص

موافقة وإمضاء الاستاذ(ة) المشرف(ة):

رئيس القسم
حسن حسني عبد النور

فهرس المحتويات:

شكر	-----
إهداء	-----
مقدمة	أ -----

الفصل الأول: التجديد بين المفهوم الأسباب والأهداف

المبحث الأول: مفهوم التجديد	7-----
المطلب الأول: مفهوم التجديد لغةً	7-----
المطلب الثاني: مفهوم التجديد اصطلاحاً	7-----
المطلب الثالث: ماهية تجديد الفكر العربي المعاصر	10-----
المبحث الثاني: أسس وأهداف تجديد الفكر العربي	12-----
المطلب الأول: أسس تجديد الفكر العربي	12-----
المطلب الثاني: أهداف تجديد الفكر العربي	15-----
المبحث الثالث: أمثلة عن بعض المجددين	17-----
المطلب الأول: زكي نجيب محمود وإحياء التراث والثقافة	17-----
المطلب الثاني: طه عبد الرحمن ومحاربة التبعية والتقليد	20-----

الفصل الثاني: التراث ومشروع التجديد في فكر حسن حنفي

المبحث الأول: مفهوم التراث والعلاقة التي تربطه بالتجديد	24-----
المطلب الأول: مفهوم التراث	24-----
المطلب الثاني: مفهوم التجديد في التراث	25-----
المطلب الثالث: أهمية التجديد في التراث	26-----
المبحث الثاني: المشروع الفكري التجديدي	29-----

فهرس المحتويات

المطلب الأول: الاختلاف الفكري حول مفهوم التراث	29
المطلب الثاني: مشروع التجديد الحضاري	32
المبحث الثالث: ميادين التجديد في المشروع الفكري	35
المطلب الأول: اتجاهات التجديد في التراث	35
المطلب الثاني: النقد والواقع العربي المعاصر	38
الفصل الثالث: اللغة والتجديد عند حسن حنفي	
المبحث الأول: مشروع التجديد اللغوي	44
المطلب الأول: مفهوم اللغة	44
المطلب الثاني: قانون التجديد اللغوي	46
المطلب الثالث: نقائص اللغة التقليدية	49
المطلب الرابع: خصائص اللغة الجديدة	52
المبحث الثاني: البديل اللغوي المقدم	56
المطلب الأول: النقد والتأويل وإعادة القراءة	56
المطلب الثاني: من الفكر إلى اللغة	59
المطلب الثالث: من النص إلى الواقع	62
المطلب الرابع: التجديد في المصطلح والمادة العلمية	64
خاتمة	68
المصادر والمراجع	72
فهرس الموضوعات	76

الملخص :

ان الملاحظ في تاريخ الفكر العربي المعاصر يدرك ان هناك فترات من الحرج في تاريخ الفكر الإنساني ولما تميز به المفكرون العرب من خلال محاولاتهم لإثراء الفكر العربي للوصول به الى الفكر حدث ، وعليه ان أهمية البحث تكمن في مساهمة ال حياة ولعل الرجوع الى الكتاب الكريم و السنة النبوية هي النموذج الأمثل في التجديد لهذه الامة العربية .

الكلمات المفتاحية : الفكر - التجديد - العرب - المعاصر .